ثقافات الشعوب

@ketab_n
4.11.2014

@ketab_n

شجرة الليمون
حكايات شعبية سلافية

جمع: آ. هـ. فراتسلاف
ترجمة: فالح حسن فزع

شجرة الليمون

حكايات شعبية سلافية

@ketab_n

جمع:
آ. هـ. فراتسلاف

ترجمة:
فالح حسن فزع

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

شجرة الليمون

حكايات شعبية سلافية

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

شجرة الليمون: حكايات شعبية سلافية.

© حقوق الطبع محفوظة
هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)
الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

GR138.W7312 2010
Wratislaw, Albert Henry, 1822-1892
[Sixty Folk-Tales From Exetusively Slavonic Sources]
شجرة الليمون: حكايات شعبية سلافية/ جمع أ.هـ. فرانسلاف، ترجمة فالح حسن فزع- ط.1.-
أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2010.
200ص: 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 978-9948-01-515-4
ترجمة كتاب: Sixty Folk-Tales From Exetusively Slavonic Sources
1 - القصص الشعبية السلافية. 2 - الحكايات السلافية. أ- فزع، فالح حسن. أ- العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبو هواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله النتان

كلمة KALIMA
info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+

ABU DHABI CULTURE & HERITAGE
www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

إن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما تعبّر آراء الكتاب عن مؤلفها.

حقوق الترجمة العربية محفوظة لكلمة

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
استهلال	9
تقديم	14
حكايات من لوزاتيا العليا والسفلى	20
الحق لا يموت	22
القبعة الحمراء الصغيرة	29
حكاية كاشوبية	36
هبّي يا هراوة!	37
حكايات بولندية	44
الأمير فجاءة	48
روح إنسان مدفون	67
الفتاة الشاحبة	73
حشد الطاعون	77
حكايات سلافية شرقية	79
حكايات من روسيا البيضاء	80
الصقيع والشمس والرياح	82
حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة	84
الولدان العجيبان	96
الرب وحده يعرف كيف يعاقب الإنسان	100
حكايات روسية قصيرة (من غالاسيا)	106
الأبناء الطيبون	108
الشيطان والغجري	114

Twitter: @ketab_n

حكايات روسية قصيرة (من جنوب روسيا)	121
الفتاة الجميلة والعجوز الشريرة	123
الثعبان والأميرة	127
حكايات من روسيا الكبرى	131
التحول إلى عندليب ووقواق	133
حلول الروح	135
العرّاف	137
شجرة الليمون	139
إيليا المورومي والعندليب السارق	146
حكايات سلافية جنوبية	155
حكايات بلغارية	156
كرم الضيافة البلغاري	158
سندريلا	162
التفاحات الذهبية والطواويس التسعة	171
لسان الحيوانات	190

Twitter: @ketab_n

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية،تمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها – مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة – تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في أقاصي الغرب، أو

Twitter: @ketab_n

شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه – وإن بلغة أخرى – جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

Twitter: @ketab_n

استهلال

نهض اهتمام كبير مؤخراً[1] بالتقاليد الشعبية وما يتصل بها مما يغنينا هنا عن تقديم تسويغ إضافي لهذا الموضوع للقارئ البريطاني. ففضلاً عن أهمية الموضوع بحد ذاته، فقد ضاعف من أهميته بروز «علم الأساطير المقارن» الجديد والتقدم الذي قطعه، إذ أثمر عن نتائج كبيرة، ولا يزال يَعِدُ مستقبلاً بالإتيان بنتائج أكبر بكثير كما شهدنا في الماضي عندما وُضِعَتْ البيانات المطلوبة في هذا المجال لاستقراء تام وكامل في متناول الباحث المحقق. ومع أن حكايات أغلب الأعراق الأوروبية قد طُرِحَت على طاولة الدرس، إلاّ أن الحكايات السلافية لم تفحص حتى الآن إلا بشيء يسير منها. وقد أتاحت لي الظروف أن أُسهم بإضافة كبيرة إلى ما يعرف الآن بالتراث الشعبي السلافي، هذا على أن ليس بمقدوري الادعاء باستنفاد كل ما في منجم ذلك التراث، بل قُل مناجمه الكثيرة، التي تتوافر عليها الأعراق والقبائل السلافية، التي لمّا تزل، بنحو أو بآخر، تنتظر مستكشفين متخصصين.

(1) صدر الكتاب، الذي بين يدي القارئ، في العام 1889، لندن (م).

Twitter: @ketab_n

وأجد من الملائم، عند تقديم طائفة تضم ستين حكاية شعبية تراثية (ضمن هذه الترجمة العربية هذه الحكايات مقسومة إلى ثلاث مجموعات وذلك بهدف تسهيل القراءة، وبالتالي إذا وجدت بعض الأمثلة من الحكايات ليست ضمن هذه المجموعة فستكون ضمن واحدة من المجوعتين الأخريين) تُرجمت من مصادر سلافية حصراً، إعطاء بعض التصور عن العمل الذي أخذتُ عنه هذه الحكايات.

في العام 1865، نشر الراحل ك. ج. ايربن المؤرشِف الشهير في مدينة براغ القديمة، ما يطلق عليه التشيكيون تشيتانكا، أي كتاب قراءة، بقصد تمكين البوهيميين من دراسة لهجاتهم كلها على تنوعها، وكان هذا الكتاب يتضمن مئة قصة وحكاية شعبية وطنية بسيطة بلهجاتها الأصلية. وذيّل هذا العمل بمعجم موجز باللغة البوهيمية شرح فيه كلمات وصياغات غريبة على البوهيمية أو تشط عن استخداماتها. توزع هذا المعجم على جزأين، أما الأول فيصور حكايات أولئك السلافيين الذين يستخدمون الحروف السيريلية، وينتمون إلى الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية، وأما الثاني فيصور حكايات السلافيين الكاثوليك والبروتستانت، الذين يستخدمون أبجدية قائمة على الحروف اللاتينية كما

Twitter: @ketab_n

الحال في أوروبا الغربية. وأولى إيربن عناية خاصة لصياغات محلية بسيطة لا تزال ألسن الناس تتداولها، بالنحو الذي تنطقه شفاههم، وإلى جانب ضمه مجموعات حكايات نُشِرت قبلاً، فقد قدم الكثير من الحكايات غير المنشورة.

ومع أنه يبتدئ بلغته الأم، اللغة البوهيمية، فهو يتطرق إلى لهجات جدُّ قريبة منها كالمورافية والهنغارية ـ السلوفينية (السلوفاكية)، ثم يعرج إلى اللوزاتية العليا والسفلى، إذ تتصل اللوزاتية العليا بالبوهيمية القديمة، بينما تنحو اللوزاتية السفلى إلى اللغة البولندية. ثم يمضي إلى الكاشوبية، التي هي لهجة بولندية فرعية لم تدم طويلاً، لينتقل بعدئذ إلى اللغة البولندية نفسها.

وتأتي بعد ذلك لغة روسيا البيضاء، مُشَكِّلة انتقالاً من البولندية إلى لغة روسيا الكبرى، ذلك أن لغة روسيا الصغرى[1] في غاليسا، أي أوكرانيا، وجنوب روسيا، هي الأقرب إلى البوهيمية من لغة روسيا البيضاء. فاللغة الروسية القديمة، التي كانت أيضاً أكثر قربا أيضاً إلى البوهيمية القديمة، هي أصل الروسية الكتابية بشكلها الحالي، وتمثل انتقالاً إلى البلغارية، التي تذوب، في المنطقة الشمالية الغربية، بالصربية، التي تدنوا هي أيضاً بفرعها

(1) هي التسمية التي كانت تطلق في عهد الإمبراطورية الروسية قبل القرن العشرين على الأراضي التي تعرف اليوم بأوكرانيا(م).

Twitter: @ketab_n

الكرواتي، بالقرب من فارازدين ، من البوهيمية كثيراً. هذا على أن الاليرية ـ السلوفينية– في كارينثيا، المنطقة القريبة جغرافياً من بوهيميا، تنطوي على صياغات تبتعد كثيراً عما تتداوله اللغة البوهيمية، بالضبط كما أن اللوزاتية العليا أدنى قرباً إلى البوهيمية من الكاشوبية البعيدة محلياً.

كنت قد اطلعت على كتاب إيربن مسبقاً من أجل الغرض الذي وضع من أجله، بمعنى أني أردت معرفة السمات الرئيسة في اللهجات السلافية كلها، لكني وجدت نفسي وقد رحت أترجم النسبة الأعظم من الحكايات مأخوذاً بروعة بعضها وسحره. أَما وأني لا أنتقي هنا مجموعة أوسع حجماً، فذلك مردَّه إلى حقيقة أن الكثير جداً من حكايات روسيا الكبرى، التي يطلق عليها، قد نقل إلى الإنجليزية بترجمة تثير الإعجاب، وبطباعة مشفوعة برسوم على يد صديق لي ـ أأسف على قرن صفة الراحل به ـ هو السيد و. ر. رالستن، ناهيك عن أني لا أراها تدخل في نطاق هذا العمل الذي أقدمه بين يدي القارئ إلا نادراً.

ولابدّ لي أن أسجل عرفاني إلى الأستاذ غريغور كريك، من كلية غراتز، في كورينت ستيريا[1]، بشأن حكاية الكائن

(1) ولاية في جنوب شرق النمسا، وهي بالألمانية شتايرمارك Steiermark(م).

Twitter: @ketab_n

الأسطوري الفريدة، التي لا تظهر إلاّ في الحكايات الصربية في منطقة كارنيولا[1]. وسيجد القارئ إشارة إلى ذلك في صدر الحكايات التي تأتي على ذكر هذه الأسطورة.

وعَمدتُ إلى وضع مقدمة تصديرية قصيرة تنطوي على جوانب اهتمام متنوعة، لكل مجموعة من الحكايات، حسب تتابع تصنيفها، وطبقاً لاختلاف لغاتها، أو لهجاتها، أو لهجاتها الفرعية.

Twitter: @ketab_n

(1) باللغة السلوفينية كرانياسكا Kranjska، وبالألمانية كرين Krain، وهي منطقة تقليدية وتاريخية في سلوفينيا، وكانت تعرف بدوقية كارنيولا عندما كانت جزءاً من النمسا وهنغاريا (الصرب)(م).

تقديم

الكتاب الذي بين يدي القارئ مجموعة شاملة (أنطولوجيا) لحكايات من أدب شعوب أوروبا الشرقية الشعبي. وقد جمعها الراهب ألبرت هنري فراتسلاف Albert Henry Wratislaw (1822–1892)، ونقلها من اللغات السلافية إلى الإنجليزية وصدرت في لندن في العام 1889. بمعنى أن هذه المجموعة من الحكايات تعد من الأعمال التي أسست للاهتمام الكبير بالآداب الشعبية في الغرب في القرن التاسع عشر، الاهتمام الذي برز إثر نشر الفيلولوجيين الألمانيين جاكوب وفيلهلم جريم، المعروفين بالأخوين جريم، «حكايات بيتية» (مجلدان، 1815–1812، وترجمت إلى الإنجليزية في العام 1884)، إذ حث عملهما كُتّاباً من أمم غربية أخرى على جمع آداب شعوبهم الشعبية وتدوينها.

يغطي اصطلاح «حكاية شعبية» (فلكلورية) أي تراث سردي على تنوع أنماطه، شفوياً كان أم مكتوباً. وهذا سبب عسر صياغة تعريف شامل ودقيق لـ«الحكايات الشعبية» وتصنيفها ووصفها

Twitter: @ketab_n

بنحو شامل ودقيق.

تشتمل أنماط السرد في تراث الأمم الشعبي على الخرافات والتراث، التي يطلق عليها بالألمانية «الساجا» (أي: حكى، قال، روى، سرد...) وتتفرع هذه إلى ثلاثة مجالات تغطي: حكايات خلق البشرية أو أصلها، وحكايات الكائنات الخارقة كالجان والأشباح، وحكايات الشخصيات التاريخية أو شبه التاريخية من قبيل روبن هود، أو عروة بن الورد، عروة الصعاليك، في الأدب العربي الشعبي.

فضلاً عن أن اصطلاح «حكايات شعبية» يغطي حكايات الشخصيات السحرية التي يفضل الباحثون استعمال التعبير الألماني مارتشن[1] للإشارة إليها. وهذه الحكايات دائماً ما تكون خيالية ولا تحدث في أي مكان على الأرض، أي أنها بلا مكان، أو منزوعة المكان، أو لا مكانية، ومن هنا يتأتى اختلافها عن الأساطير والخرافات وعن التراث الشعبي.

الخرافة قصة ينظر إليها في المستوى الشعبي على أنها تاريخية لكنها غير موثوقة الأحداث، لأنها غالباً ما تروي عن حقبة ما بعد الخلق، وتختلف عن التاريخ في أسلوب عرضها ونقطة

(1) Märchen.

Twitter: @ketab_n

تركيزها وغرضها، فيما «التراث» يجد أصله المفهومي في الأديان السماوية الثلاثة، اليهودية والمسيحية والإسلام. ففي اليهودية يعني «التراث» طقوس العقيدة الشفاهية وتعاليمها، وهي ليس ما جاء في التوراة، بل ما علَّمه الله تعالى لنبيه موسى «ع»، حسب ما تذكر المعاجم الغربية. ويُقصد به في المسيحية العقيدة غير المنصوص عليها صراحة في الكتاب المقدس بل هي المستنبطة من تعاليم السيد المسيح «ع» الشفاهية وحوارييه. أما في الإسلام فهي أحاديث النبي محمد «ص» وأفعاله، التي لم ترد في القرآن، بل عُدَّت «سنة» تأتي في المرتبة الثانية من مصادر تعاليم الإسلام. وهذا يفترض أن التراث يعني إلى حد كبير التعاليم والمعتقدات التي تتناقلها أجيال أمة معينة.

وتشتمل الحكايات الشعبية أيضاً على حكايات الحيوانات، وتُقدَّم الحيوانات فيها مثل كائنات بشرية في التصرف والسلوك والكلام.

ثم أن هناك نمطاً آخر يطلق عليه «حكايات الحيوانات»، ينطوي على دروس وحكم أخلاقية أو اجتماعية أبطالها حيوانات.

أما اصطلاح أساطير فيبدو تعبيراً معقداً لأنه قد يشير إلى بعض ما سبق ذكره، إلا أنه يتعلق عموماً بوجود الآلهة، أو أنصاف

Twitter: @ketab_n

الآلهة، أو الأبطال الأسطوريين، أو يروي عن ماض مجيد لدى أمة ما. ولكل أمة أساطيرها التأسيسية، التي تروي عن نسبها وتشكلها وعلاقاتها الاجتماعية ونشاطها الاقتصادي وأمجادها.

على أن هناك حكايات شعبية تمزج بين تلك الصنوف كلها.

تجد هذه الأنماط من الحكايات الشعبية أمثلتها في الحكايات الستين التي جمعها وترجمها، بل بعضها دوَّنه لأول مرة، فراتسلاف، ثم صنّفها جغرافياً.

يعد فراتسلاف، الذي يتحدر من عائلة أرستقراطية تنتمي إلى إمبراطورية هابسبورغ، من كبار المتخصصين بالآداب السلافية القديمة، في القرن التاسع عشر، وله كتب عدة في هذا المجال. تصفه معاجم السير بالباحث والمحقق الموهوب، إذ ترجم لتلك الآداب ووضعها في أنطولوجيات وعلق عليها، وهو بعد من العارفين بخصائص اللغات السلافية.

وتقول موسوعات تشيكية معاصرة إن عنايته بالأدب السلافي القديم دافعها اهتمامه بحركة الهوسيين المسيحية، التي ظهرت إثر أفكار المصلح التشيكي جان هوس (1369–1415)، وهو من رواد الإصلاح البروتستانتي، واهتمامه بالبروتستانتية الإنجليزية.

Twitter: @ketab_n

حاضر فراتسلاف في جامعات لامعة من بينها أكسفورد في مجال أدب العصور الوسطى التشيكي، وفي الآداب السلافية عموماً وأساطيرها.

الحكايات الشعبية عموماً مرصودة للإلقاء الشفاهي، حتى وإن كانت مدوَّنة، أي أنها تنطوي على «راوٍ» يتحدث «الآن»، و«جمهورٍ متلقٍ» يستمع للأحداث وهي تتشكل «الآن» أيضاً، في حين أن الرواية أو القصة، تفترض قراءة «فردية» على الرغم من أن كتاباً غربيين قبل القرن العشرين مارسوا «الرواية المتسلسلة» في الصحف. بمعنى أن الاتصال في حالة الحكايات الشعبية آني وراهن، وليس مُرجّأً، كما مع النص المُنتَج أصلاً كتابة. وهذا الاختلاف - بين النص الشفاهي والنص الكتابي - يستحق الانتباه لأنه في كل مستوى يفترض تراكيب لغوية معينة، نحواً وتركيباً وبلاغة، أي ملائمة من حيث التعبير للمستمع أو المُخاطَب، وهذا ما يطلق عليه بـ«مستوى اللغة»، حسب الدراسات اللسانية الغربية الحديثة، ومقولة «لكل مقام مقال» في التراث البلاغي العربي.

مع حكايات السلافيين هذه نتعرّف مستوى لغة آداب أوروبا الشرقية الشعبية، بل وحتى بلاغة الأدب الشعبي الإنجليزي - لغة فراتسلاف، في القرن التاسع عشر، فضلاً عمّا تعكسه هذه النصوص من فكرة عن طبيعة العلاقات الاجتماعية في تلك

Twitter: @ketab_n

المجتمعات ومعتقداتها وتقاليدها واقتصادها، قبل القرن التاسع عشر، بقرون ربما. بل إن الفكرة والمتعة فيها جعلها مادة، بل منجماً بتعبير فراتسلاف، لأفلام للصغار والكبار حتى اليوم، تُروى بصرياً كما هي، أو تُعاد صياغتها أو تُقدم عنها نصاً بديلاً.

لقد أقدمَ مشروع «كلمة» على نقل «ستون حكاية من الأدب الشعبي السلافي» (العنوان الأصلي للكتاب) ضمن مجموعة واسعة من حكايات الأمم الأخرى، ليعرض جانباً آخر من حياة شعوب غالباً ما تغيب عنا حياتهم اليومية وجوانبها الاعتيادية، التي هي بلا شك غير تلك التي نستنبطها من نتاجات الأدب الحديث غير الشعبي.

بقي أن نشير إلى أن عملية الترجمة وتعاملها مع صياغات النص القديمة ومستوى لغته، بل مع بعض الارتباكات التي بدت في النص الأصل، قد أفادت من موسوعات غربية ومعاجم عدة.

هذه الحكايات، على الرغم من عوالمها السحرية والعجائبية، لا تتخلى عن الواقع، بل تراها تستعين بالخيال للتغلب على الواقع.

فالح حسن فزع

Twitter: @ketab_n

حكايات من لوزاتيا العليا والسفلى

تتحدث لغة لوزاتيا العليا مقاطعة قد تتحدد بمدن لوباو Lobau، وبوتزن Bautzen، ومسكاو Muskau، في حين أن اللوزاتانيين السفليين يقطنون حول مدن سبريمبيرغ Spremberg وكوتبس Kottbus. تعيش النسبة الأعظم من أهل لوزاتيا العليا في سكسونيا Saxony والقلة منهم في الأراضي البروسية، أما اللوزاتانيين السفليين فجميعهم رعايا بروسيين.

تصوّر (حكاية لوزاتيا العليا)، في مستوى الأسلوب الفلكلوري، مبدأ أخلاقياً ذا قيمة كبيرة. في حين أن (قصة لوزاتيا السفلى) نص بديل لقصتنا[1] «القبعة الصغيرة الحمراء». لكنها تتمم هذه القصة بنحو توضح فيه معنى الرواية الاستعاري بالصيغة التي نحوت إلى تأويلها الذي ذكرته في ختام القصة.

(1) في الأدب الشعبي الإنجليزي (م).

Twitter: @ketab_n

لكن ما تبقى من اللغة السلافية في لوزاتيا تحاصره الأراضي الألمانية بشدة حدَّ أن معظم فلكلورها وضع لخدمة الألمان.

وثمة جانب لافت في اللغة اللوزاتية يتمثل بإضافة العدد المزدوج في كل من الأسماء والصفات والأفعال.

Twitter: @ketab_n

الحق لا يموت

في سالف الزمان، كان هناك صياد لديه ابن، صياد هو أيضاً. فأرسل ابنه إلى أرض أجنبية ليتعرف على العالم ويتعلم شيئاً إضافياً. وهنا مضى إلى حانة، حيث التقى شخصاً غريباً، دخل معه في حديث. فحكى أحدهما للآخر كل ما يعرف من أخبار، إلى أن وصلا إلى الحديث عن الحق والباطل. فجزم الغريب أن أكبر باطل يمكن أن يصير حقاً في مقابل المال. لكن الصياد رأى أن الحق يبقى دوماً حقاً، وعرض رهاناً بثلاثمئة قطعة ذهبية، إذا أراد الغريب فعل الشيء نفسه[1]. وقبل الغريب بذلك، واتفقا على سؤال ثلاثة محامين في الحال. فمضيا إلى المحامي الأول، وقال إن من الممكن جعل الباطل حقاً بالمال. ومضيا إلى آخر. فجزم هو كذلك أن الباطل يمكن أن يصير حقاً بالمال. وفي النهاية، مضيا إلى ثالث. وهذا أخبرهم أيضاً أن الباطل يمكن أن يصير حقاً بالمال.

(1) مما يترشح ما بعد من القصة، ينبغي بالتأكيد أن تكون العبارة بالنحو الآتي: «ليراهن على حياته بثلاثمئة قطعة ذهبية التي راهنه بها الغريب» (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

وعادا القهقرى كما جاءا، و لم يصلا إلى حانتهما إلاّ بعد وقت متأخر من المساء. بعدئذ سأل الغريب الصياد عما إذا لم يزل ينكر أن الباطل الكبير يمكن أن يصير حقاً بالمال، فرد الصياد أنه على وشك أن يرغم بالاعتقاد بذلك على أساس تأكيد المحامين الثلاثة، على الرغم من أنه يعارض ذلك جملة وتفصيلاً. كان الغريب مستعداً لضمان حياته له إذا وافق على دفع ثلاثمئة قطعة ذهبية[1]، لكن بينما يتحدثان في هذا، جاء رجل فبالغ في إقناع الغريب أن عليه الالتزام بما قد اتفقا عليه مسبقاً. لكن على الرغم من هذا، لم يقتنع وتناول قطعة حديد حامية وغلها بعين الصياد قائلاً له في الوقت نفسه إنه عندما يستعيد الصياد بصره ثانية، فعندها وعندها فقط سيؤمن أن الحق بقي حقاً في هذه الدنيا.

فصار الصياد يتوسل صاحب الحانة أن يدله على الطريق الصحيح إلى المدينة. فوضعه على طريق يؤدي إلى المشنقة، فسار في طريقه. و لم يكد الصياد يقطع مسافة قليلة حتى وصل إلى نهاية الطريق، فسمع إحدى عشرة قرعة طبل. فلم يتمكن من التقدم أكثر، وتمدد هناك لعل شخصاً يأتي إليه في الصباح. وبعد وقت قصير، سمع جلبة، وما هي إلاّ لحظة حتى جاء أحد ما، و لم تمض برهة حتى جاء ثان وثالث. وكانوا هؤلاء أرواح شر، تترك

(1) في الأصل ثلاثمئة دولار (م).

Twitter: @ketab_n

جثثها وقت الليل، وترتكب أشد الأفعال خسة في هذا العالم. وأخذوا يتحدثون مع بعضهم، فقال أحدهم: «اليوم يمضي علينا عام ويوم واحد على اجتماعنا معاً وحكينا يومها الأفعال الطيبة التي قمنا بها خلال العام الذي قبله. وانقضى عام على ذلك، ولهذا فقد حان الوقت لنتحقق مَنْ منا قام بأفضل عمل خلال العام الماضي».

تحدث الأول وقال: «لقد حرمت أهل مدينة رامُل Ramul من مائهم، ولن ينفعهم شيء سوى أن يجد أحد ما الذي سدّ عين النبع عنهم».

فقال الثاني: «وكيف ذلك؟».

فرد الثالث «وضعت عَلجُوماً ضخماً في النبع الذي يتدفق الماء منه، ولو أُزيل، لجرى الماء كما كان في سابق عهده.

فقال الثاني: «تسببت باختفاء جميلة أميرات ساراهافسكي Sarahawsky، وذبلت حتى غدت جلداً وعظماً، ولا يفيدها شيء حتى يُرفع مسمار الفضة المعلّق فوق سريرها».

Twitter: @ketab_n

وقال الثالث: «البارحة تسببت بفقدان شخص بصره بقطعة حديد حامية، ولن ينفعه شيء سوى غسل عينيه بماء البئر غير البعيد من هذه المشنقة».

وقُرِعَ اثنا عشر طبلاً في المدينة، واختفى الثلاثة في الحال، بيد أن الصياد تذكر ما قالوه كله، وابتهج أن بمقدوره استعادة بصره.

في باكر اليوم التالي سمع أحدهم بمر بقربه، فالتمسه أن يرسل إليه أناساً من المدينة، ليخبره عن علاج النبع. فجاءه أناس من كل لون، لكن أحداً منهم لم يتمكن من أن يدلّه على النبع، سوى امرأة عجوز تمكنت من ذلك في نهاية المطاف. فطلب منها أن تقوده إليه، وحالما غسل عينيه بمائه، عاد إليه بصره.

بعدئذ سأل عن الطريق إلى مدينة رامُل، فذهب إليها. وما إن وصلها حتى أخبر مجلس المدينة بنيته إعادة الماء إليهم. وكان هناك الكثير من الناس أصلاً، وبذلت المدينة مالاً كثيراً من أموالها وكانت النتيجة لا شيء، لذا، ما دام كل شيء قد ذهب عبثاً، قرروا الإحجام عن فعل أي شيء لهذا الحال. إذن، قال لهم إنه لن يفعل من ذلك شيئاً، وما عليهم إلا أن يزودوه بعمال لمساعدته حسب. وجرى ذلك له. وعندما حفروا

Twitter: @ketab_n

عميقاً ووصلوا إلى الأنابيب، التي يمر الماء فيها، والتي تمتد في النبع، نحى العمال كلهم جانباً وحفر قليلاً بنفسه، وفجأة! لمح عَلجُوماً، مثل برميل، كان جالساً يسد عين النبع. وحالما أزاله حتى صار الماء يتدفق، وفاضت الينابيع بالماء كما كانت في السابق. وأقام أهل المدينة وليمة كبيرة على شرفه، وأعطوه مبلغاً كبيراً من المال على ما فعله لهم.

ومضى بعدئذ قاصداً مدينة سار اهافسكي. وسرعان ما علم أن الأميرة مريضة، تماماً كما كان قد سمع، و لم يستطع الأطباء كلهم مساعدتها، وفوق ذلك أن الملك وعد أنه سيزوجها لمَنْ يتمكن من علاجها من الداء التي هي فيه. لذا ارتدى أحسن الثياب وتأنق، وسار إلى قصر الملك، وأعلمهم أنه جاء من بلاد بعيدة، ويريد شفاء الأميرة. فرد الملك عليه أن لا أمل لديه بذلك، إلاّ أنه لا بأس بأن يجرب الحال معه. فقال الصياد إن عليه أن يجلب الدواء. فخرج وابتاع من كل أنواع الفاكهة المجففة المحلاة، ثم مضى متجهاً إلى الأميرة. وأعطاها الجرعة الأولى، وأخذ يتطلع ليحدد في أي مكان من رأس سريرها كان المسمار الفضي مغروزاً. وفي باكر اليوم الثاني، جاء مرة أخرى، وأعطاها أيضاً بعض من دوائه، واغتنم الفرصة ليمسك برأس المسمار، ثم بدأ

Twitter: @ketab_n

بسحبه حتى أخذ يتحرك. وبعد ظهر ذلك اليوم، شعرت الأميرة أن حالها تحسن. وجاء في اليوم الثالث، وبينما الأميرة تتناول دواءها، تحرك الصياد إلى رأس السرير أيضاً، وسحب المسمار، ووضعه سراً في جيبه. وعند الظهر، تعافت الأميرة كثيراً حتى أرادت أن تتناول غداءها، ووجه الملك دعوة للصياد لحضور مأدبة فاخرة. وراحوا يفكرون بموعد الزفاف، لكن الصياد رأى أن عليه أولاً الذهاب إلى دياره.

وفي طريق عودته إلى البيت، مرَّ ثانية بالحانة التي فقد فيها بصره، وكان الغريب هناك أيضاً. وأخذا يرويان الأخبار لبعضهما بعضاً، فروى الصياد ما كان قد سمعه تحت المشنقة، وكيف اكتشف مكان الماء، وأخيراً كيف عاد إليه بصره، وقال إن على الغريب الآن الإيمان بأن الحق يظل دوماً هو الحق في هذه الدنيا. فدُهش الغريب كثيراً، وقال إنه يؤمن بذلك.

بعد ذلك، مضى الصياد في طريقه وعاد إلى أميرته، وأقاموا حفل عرس مهيب، دام أسبوعاً بأكمله. ففكر الغريب في نفسه أنه سيمضي، هو أيضاً، إلى مكان المشنقة، لعله يسمع بعضاً من تلك الأشياء التي سمعها الصياد، ولعله بالنتيجة سيتزوج بأميرة. وعندما انقضى العام، ذهب أيضاً إلى ذلك المكان. فسمع ضربة،

Twitter: @ketab_n

وفي وقت قصير سمع جلبة، فجاء أحدهم مرة أخرى، و لم يمض وقت طويل حتى جاء ثان وثالث. وراحوا يتحدثون مع بعضهم بعضاً، فقال أحدهم: «لا يمكن أن يكون ذلك، أن أحدهم سمع منا ما قلناه في العام الماضي، فخرّب ما عملناه كله. عليه، دعونا نتفحص المكان بعناية قبل أن نحكي لبعضنا بعض ما فعلناه». وشرعوا من فورهم بالبحث في المكان، فوجدوا الغريب. وقطعوه ثلاث قطع وعلقوه على زوايا المشنقة الثلاث.

وعندما توفي الملك الهرم أخذ الصياد محله ملكاً، ولا يزال يحكم حتى يومنا هذا، ويؤمن إيماناً راسخاً أن الحق لن يموت في مملكته.

Twitter: @ketab_n

القبعة الحمراء الصغيرة

ذات مرة، كانت هناك فتاة لطيفة، يحبها كل من رآها، لكن جدتها العجوز تحبها أكثر الجميع، ولم تكن تعرف ما تعطيه لحفيدتها الغالية كي تبين لها حبها الجم. وفي إحدى المرات، صنعت لها قبعة من خيوط حمراء متشابكة، ولأنها كانت تلاؤمها كثيراً وهي أيضاً لم ترد وضع شيء على رأسها غير هذه القبعة، صار الناس يلقبونها «القبعة الحمراء». وفي أحد الأيام، قالت والدة القبعة الحمراء لابنتها: «اذهبي، هناك قطعة من الكعك وزجاجة شراب، احمليها إلى جدتك العجوز. فهي مريضة ومتعبة، وهذا سينعشها. لكن تصرفي بلطف، ولا تقلبي نظرك في زوايا غرفتها عندما تدخلين، ولا تنسي أن تسلمي عليها وتقولي: نهاراً طيباً. وامشي أيضاً بلطف، والزمي طريقك ولا تخرجي عنه، وإلا ستقعين وتنكسر الزجاجة، ولن تتناول الجدة المسكينة شيئاً».

Twitter: @ketab_n

فقالت القبعة الحمراء: «سأنتبه جيداً لكل شيء كما أخبرتني»، وربتت يد أمها.

لكن الجدة كانت تعيش في غابة، تقع على بعد ساعة ونصف مشياً من القرية. وعندما ذهبت القبعة الحمراء إلى الغابة، قابلت ذئباً. لكنها لم تعرف كم أن هذا الحيوان شرير، لذلك لم تخف منه.

فقال لها: «ليساعدك الرب أيتها القبعة الحمراء!».

فردت عليه: «حياك الرب أيها الذئب!».

فقال لها: «إلى أين تمضين في هذا الوقت المبكر أيتها القبعة الحمراء؟».

فأجابته: «إلى الجدة».

فقال لها: «ماذا لديك تحت عباءتك؟».

فأجابته: «كعك وشراب. لقد أعددناها البارحة، فالجدة العجوز يجب أن تتناول وجبة جيدة مرة واحدة، لتقوي نفسها بذلك».

Twitter: @ketab_n

فقال لها: «وأين تعيش جدتك، أيتها القبعة الحمراء؟».

فردت عليه: «زهاء ربع ساعة مشياً من هنا في الغابة، هناك تحت شجرات السنديان الكبيرة الثلاث. هناك بيتها، وما بعده أشجار الجوز، التي ستراها هناك». ففكر الذئب في نفسه: «هذه الفتاة الصغيرة اللطيفة وجبة دسمة. وسيكون مذاقها ألذ من المرأة العجوز، لكن عليك أن تحتال عليها بذكاء، فلربما تظفر بهما كلتاهما». وبعد لحظة انتقل إلى الجانب حيث تمشي القبعة الحمراء. ثم قال: «أيتها القبعة الحمراء! انظري فقط! فهنا زهور لطيفة كثيرة! لماذا لا تنظرين إليها؟». وأردف متهكماً: «يبدو لي أنك لم تسمعي البتة كم هو بهيج تغريد الطيور! أنت تمشين ببلادة مركزة عينيك على الأرض وكأنك ذاهبة إلى مدرسة، مع أن البهجة كبيرة في الغابة!».

فرفعت القبعة الحمراء الصغيرة عينيها، وعندما رأت كيف أن أشعة الشمس تتلألأ من خلال قمم الأشجار، والزهور تملأ كل مكان، قالت في نفسها: «لو آخذ معي باقة ورد صغيرة شذية العطر إلى الجدة، فسوف تفرح بها. ثم أن الوقت ما زال مبكراً، وما زال أمامي الكثير من الوقت لأذهب إليها».

Twitter: @ketab_n

فراحت من فورها تثب فرحة في الغابة باحثة عن الزهور. وكانت كلما قطفت واحدة، ظنت أن الأخرى أجمل منها، وراحت تركض هنا وتذهب هناك حتى سارت أبعد وأبعد في الغابة. لكن الذئب أخذ طريقه مباشرة إلى الجدة العجوز، ووصل إلى بيتها وطرق الباب. فقالت الجدة: «مَنْ بالباب؟».

فرد الذئب: «القبعة الصغيرة الحمراء جاءت إليك بالكعك والشراب. افتحي!».

فقالت الجدة بصوت عال: «فقط اضغطي على المزلاج، فأنا متعبة للغاية ولا أقوى على الوقوف».

فضغط الذئب على المزلاج، ودخل البيت، ومشى من دون أن ينطق بكلمة باتجاه سرير الجدة وابتلعها. ثم أخذ ملابسها وارتداها ووضع قبعتها على رأسه، وتمدد في السرير وتغطى.

في هذه الأثناء، كانت القبعة الحمراء الصغيرة تتراكض هنا وهناك تقطف الزهور، وعندما تجمع لديها أكثر مما تستطيع حمله، تذكّرت جدتها، وانطلقت متوجهة إليها. ولما وصلت بدا غريباً لها أن تجد الباب مفتوحاً على مصراعيه، وعندما

Twitter: @ketab_n

دخلت الغرفة بدا كل شيء لها غريباً حتى أنها فكرت: «آه! يا الهي! كم هو شعوري غريب اليوم، وكنت في أوقات أخرى أشعر بالسعادة مع الجدة!».

وقالت «نهارك طيب!»، لكنها لم تسمع جواباً. ومع ذلك مشت إلى السرير ورفعت الغطاء. كانت هناك جدة مضطجعة، وغطاء رأسها نازل على عينيها، لكنها بدت غريبة الأطوار كثيراً! فقالت القبعة الحمراء الصغيرة: «ها، أيتها الجدة! لماذا أذناك طويلتان هكذا؟».

فقال الذئب: «لكي أسمعك أفضل».

فقالت: «آه، أيتها الجدة! ولماذا عيناك واسعتان هكذا؟».

فقال الذئب: «لأراك أفضل».

فقالت: «آه، أيتها الجدة، ولماذا يداك كبيرتان هكذا؟».

فقال: «كي أمسكك بنحو أفضل».

وقالت: «لكن أيتها الجدة! لماذا فمك واسع بنحو مخيف هكذا؟».

فقال: «كي أفترسك بنحو أفضل!».

Twitter: @ketab_n

وفي الحال قفز الذئب خارج الفراش على القبعة الصغيرة الحمراء المسكينة، وابتلعها.

وعندما شبع الذئب، تمدد ثانية على السرير، وغط بنوم عميق وراح يشخر عالياً. عندها مر صياد، وقال في نفسه: «كيف أن امرأة عجوزاً تغط بنوم عميق وتشخر هكذا؟ سألقي نظرة فقط لأرى ما الأمر».

ودخل الغرفة، وتطلع إلى الفراش، ووجد الذئب مضطجعاً. فقال «أخيراً وجدتك أيها الوغد العجوز؟ لطالما كنت أبحث عنك».

وعندما صوب إليه بندقيته، فكر في نفسه: «لربما التهم هذا الذئب الجدة الآن، ولربما يمكن تخليصها منه». لذا لم يطلق النار عليه، بل استل سكينه وأخذ يشق معدة الذئب النائم. وعندما شقه قليلاً، رأى بريق قبعة حمراء، وبعد أن زاد في الشق قفزت القبعة الحمراء، وصرخت: «أوه، كم كنت مرعوبة، كانت معدة الذئب مظلمة!».

بعد ذلك خرجت الجدة العجوز، وكانت لا تزال حية، لكنها بالكاد كانت تقوى على التنفس. لكن القبعة الحمراء أسرعت

Twitter: @ketab_n

وجلبت حجارة كبيرة، وملأت بها معدة الذئب، وعندما استيقظ أراد أن يقفز ويهرب، لكن الحجارة كانت ثقيلة جداً حدَّ أنه سقط على الأرض ومات. بعدئذ، شعر الثلاثة بالفرح. وسلخ الصياد جلد الذئب، وتناولت الجدة الكعكة وشربت مما جلبته لها القبعة الصغيرة الحمراء، وأصبحت قوية وبصحة جيدة ثانية، وقالت القبعة الحمراء الصغيرة في نفسها: «لن أخرج عن طريق الغابة ما دمت حية، مثلما منعتني أمي من ذلك».

Twitter: @ketab_n

حكاية كاشوبية

يقطن الكاشوبيون مقاطعة صغيرة شمال شرق بوميرانيا Pomerania، أي «إقليم فوق البحر»، من بو po «فوق»، ومور more، البحر. ويمكن حصر حدودها تقريباً بمدن ليبا Leba، ولونبورغ Lauenburg، وبُتو Butow أو بايتم Bytom.

تنطوي هذه الحكاية على العديد من ملابسات الحكاية الألمانية «الطاولة والحمار والعصا» في مجموعة غريم. ومرة أخرى كان من الطبيعي أن تفسّر الحكايات الكاشوبية لصالح الألمان الميحطين بها. وقد اشتكى الأدباء السلافيون بمرارة من استيلاء الألمان على أدبهم الشعبي. إذ بالطبع هناك كم هائل من المشتركات على أرضية الأدب الشعبي، إلا أنك تجد أحداثاً تنتمي إلى هذه الحكاية تؤسس لأبعاد في حكاية أخرى تبدو أنها بكليتها غير متصلة بها. لكني أعتقد بوجود أساس حقيقي لتلك الشكوى.

Twitter: @ketab_n

هبّي يا هراوة!

كان ثمة إسكافي يشتغل في يوم السبت بترقيع أحذية عتيقة، كي يتمكن من الذهاب إلى الكنيسة في يوم الأحد. لذا فقد عمل حتى وقت متأخر من المساء، فأنهى ما بيديه، وفي الصباح الباكر ارتدى ملابسه، وتناول كتاب الصلاة العامة. وفي الكنيسة سمع هذه الفتوى: إن أي شخص يوقف ممتلكاته إلى الكنيسة، فإن الرب سيعوضه عنها مئة مرة بشكل آخر.

وبما أنه كان فقيراً، فقد عزم على بيع كوخه وأغراضه وإعطاء المال كله إلى القس في الكنيسة. فرجع إلى البيت وأخبر زوجته بما نوى عليه، وفي أيام قلائل صار المال بأيدي القس. لكن الأيام تتابعت، واحداً إثر آخر، و لم يظهر أي شيء من التعويض. وفي نهاية المطاف، عندما ابتلي الإسكافي بالجوع الموجع، ارتدى ملابس بدا فيها متسولاً عجوزاً ومضى ساعياً رزق الرب.

وبعد أن ساح يومين متتاليين، رأى راعياً عجوزاً يرعى قطيع غنم كبير. ولأنه كان جائعاً، فقد فكّر في نفسه أن يمضي إلى

Twitter: @ketab_n

الراعي العجوز ليسأله أن يخرج له شيئاً من أدام غدائه[1]. وبينما يتناول الطعام، راح يقص ما فعله بتفاصيله، وكيف سارت الأحوال معه بعد ذاك. فأشفق الراعي العجوز على الإسكافي الفقير، وأعطاه حملاً، كان ينثر الدراهم كلما يقال له: «أيها الحمل، هزّ نفسك!». لكنه كان يعطي الدراهم بشرط مفاده أن على الإسكافي ألاّ يدخل بيت عرابته إذا وجد نفسه مجبراً على المرور بقريتها. فجعل الحمل على كتفه والفرح يغمره، شاكراً الرجل العجوز على ذلك، وانطلق مسرعاً بطريقه إلى داره ليدخل البهجة على زوجته وأولاده.

وعندما وصل وراء التلال، دخلت الريبة نفسه من كلمات الراعي العجوز، فهو لا يفهم كيف أن حملاً عادياً يستطيع أن يعطي دراهم. لذا رغب أن يتأكد بنفسه من حقيقة ذلك، فوضع الحمل أرضاً ونطق بكلمات الرجل العجوز: «أيها الحمل، هزّ نفسك!». وفي الحال التمعت الدراهم حول قوائم الحمل، فرأى الرجل أنه أكثر الناس حظاً في العالم أجمع. وبلا تأخير، وضع الحمل على ظهره، ومضى قاصداً البيت. لكن حينما مر من أمام مسكن عرابته، ظنته قادماً لزيارتها، لاسيما أنهما لم يلتقيا منذ

(1) استخدم فراتسلاف تعبير «سلة الغداء»، واقترح في الهامش تعبير «قدر الغداء»، موضحا أن الرعاة وغيرهم يحملون وجبات غذائهم بأوان توضع إحداها في الأخرى. وارتأى م مفردة «أدام» (م).

Twitter: @ketab_n

زمن طويل. في البداية تردد الإسكافي قليلاً، لكن رغبته في إظهار أن جيوبه فيها دراهم، وأنه أصاب حظاً كهذا، دفعته إلى دخول البيت، وبعد أن ناولها هديته التي تلقاها من العجوز، قائلاً لها «لكن لا تقولي له: أيها الحمل، هز نفسك! مضى إلى الطاولة ليتناول شيئاً من الشراب. لكن عرابته، وكانت عجوزاً مخادعة، صارت تحدث نفسها أنه لابد من سر في هذه الكلمات. وعليه، أخذت الحمل إلى غرفة أخرى، وعندما وجدت نفسها وحدها قالت للحمل: «أيها الحمل، هز نفسك!». وعندما رأته ينثر الدراهم أخذت تفكر في كيفية خداع الإسكافي. وبعد برهة، عزمت على إبقاء الإسكافي واحتجازه الليل كله في منزلها، وفي باكر اليوم التالي، تعطيه بدلاً من حمله واحداً آخر يشبهه تخرجه من قطيعها، لتحكم خدعتها. وهكذا أخذ الإسكافي في الصباح الباكر الحمل ووضعه على كتفه وأسرع متجهاً إلى زوجته وأطفاله، وألقى بينهم، وكانوا يبكون، درهمين، لعل زوجته تعد لهم وجبة جيدة. راودت الزوجة نفسها على التساؤل عن مصدر هذا المال الكثير الذي أتى به زوجها، لكنها لم تتمكن من سؤاله. وبعد تناول الطعام، راح الإسكافي وجلب الحمل ووضعه على الطاولة، ونادى أطفاله كي يفرحوا معه بتناثر الدراهم، وصاح: «أيها الحمل، هزّ نفسك!»، لكن الحمل ظل متسمراً كأنه من

Twitter: @ketab_n

خشب، و لم يحرك حتى رأسه. فأخذ الأطفال، الذين كانوا قد أكلوا حتى شبعوا، يضحكون، وظنت الزوجة أن زوجها قد أصابه مسٌّ بعقله. أما الإسكافي، الذي اشتعل غضباً من زوال أمنيته، فأعاد وكرر كلمات الرجل العجوز، لكن هذه المرة أيضاً لم يحدث شيء، لذا دفع الحمل من على الطاولة.

وطالما كانت الدراهم موجودة في البيت، كان الاطمئنان يعمه، لكن عندما بدأت تنفد من الكوخ، أخذت الزوجة تلوم زوجها على عدم مزاولته أي عمل، وعدم اكتراثه بالمعيشة. وعندما لم يبق شيء مرة أخرى لدى الإسكافي، تناول عصاه بيده وتوجه إلى الرجل العجوز. وكان يعلم حق العلم أنه لن يلقى ترحيباً منه، لكن ما العمل؟ على أي حال، أشفق العجوز على فقر حال العائلة، فأعطاه هذه المرة غطاء مائدة، ما إن يقال له: «يا غطاء المائدة، افرش نفسك!»، حتى ينفرش من تلقاء ذاته، ويظهر عليه ما لذ وطاب من الطعام والشرب، لكن شريطة ألا يذهب إلى دار عرّابته. فما كان من الإسكافي، الذي سر كثيراً بالهدية، إلا أن شكر العجوز وانطلق إلى بيته. وفي وقت قصير، صار خلف التل، فجلس على الأرض، وليس بسبب الفضول إنما بدافع الجوع، نطق بكلمة الأمر على غطاء المائدة كي تفرش نفسها،

Twitter: @ketab_n

فسمع قرقعة من داخلها. وبعد أن أكل ملء معدته، مضى فمر من دار عرّابته، وكانت العجوز بانتظاره على باب دارها، فالتمسته بألطف العبارات ألا يمر من دون دخول دارها، وقالت له المثل: «من لم يزر أخاه تنكسر رجلاه[1]». تردد الإسكافي ملياً، لكنه في النهاية دلف إلى الدار وائتمنها على غطاء المائدة قائلا لها: «يا عرّابتي العزيزة، لا تقولي: يا غطاء المائدة، افرش نفسك!». فقدمت له المرأة الماكرة شراب ترحيب، وصارت تصب له الكأس بعد الكأس حتى داخ. وفعلت الماكرة مع غطاء المائدة كما فعلت مع الحمل. وجاء الإسكافي إلى زوجته وأولاده، ووضع غطاء المائدة على الطاولة وصاح «يا غطاء المائدة، افرش نفسك!» لكن غطاء المائدة لم يتحرك، واعترى اليأس الإسكافي فراح يشتم المرأة العجوز، عرابته. ورجع ثانية إلى العجوز، ورجاه أن يسامحه جاثياً على ركبتيه على عدم الالتزام بشرطه هذه المرة أيضاً، وتوسل إليه، على الرغم مما حدث، أن يشفق عليه وان يأتمنه مرة أخرى. تمنّع العجوز طويلاً، لكنه في نهاية المطاف أعطاه هراوة في رأسها قطعة فضة تزينها أحجار كريمة، وأمره هذه المرة أن يزور صاحبته، ونبهه إلى كلمات «أيتها الهراوة، هبّي!» فغمر الفرح الإسكافي من جديد، وراح يشكر العجوز مئات المرات،

(1) في النص الأصلي «مَنْ يتجاوز الحانة تلتوي قدمه»، وقد حاولنا تقديم المثل بهذه الصيغة ليكون أقرب إلى البيئة العربية الاجتماعية (م).

Twitter: @ketab_n

وأطلق ساقيه للريح متجهاً لزوجته وأولاده. لكن ما إن صار وراء التل، حتى اعتراه الفضول ليعرف ما تعنيه هذه الهراوة، وأراد إشباع فضول نفسه، فقال: «أيتها الهراوة، هبّي!»، وفي لحظة انتصب أمامه رجلان شديدا البنية، وأخذا يضربانه بلا رحمة. لم يكن الإسكافي، وقد تملكه رعب شديد، يعرف كيف يأمرهم ليتوقفوا عن ضربه، وأخيراً، وبعدما أوسعوه ضرباً، صاح «أيتها الهراوة، توقفي!»، وفي لحظة اختفى الرجلان وانتصبت الهراوة أمامه. فقال الإسكافي «أنت بارعة، أنت بارعة!». ونهض من الأرض «سوف تساعديني على استرداد الهديتين السابقتين».

وعندما وصل إلى القرية، حيث تسكن عرّابته، أسرع إلى بيتها ودخله لأنه كان على معرفة وطيدة بصاحبته. وفرحت العجوز أيما فرح لرؤيته، لأنها ظنت أنها ستربح منه مرة أخرى، فضيّفته ضيافة حسنة، وبعدئذ راحت تستعلم منه عما إذا لديه شيء ما يعهد به إليها. فسلمها الإسكافي هراوته طالباً إليها ألاّ تقول: «أيتها الهراوة، هبّي!». فوضعت العجوز أكمامها على فمها وضحكت من هذا المغفل، وقالت في نفسها: «يقول لي بلا سبب ما عليّ قوله!». ومضت في الحال وبيدها الهراوة إلى الغرفة الأخرى، وما كادت تتجاوز عتبة الباب، حتى صاحت

Twitter: @ketab_n

متسرعة «أيتها الهراوة، هبّي!» وفي الحال، ظهر رجلان يحملان هراوات وراحا يضربانها، حتى فقدت توازنها. وعلى صراخها الحاد، اندفع الضيف ليساعدها، و... هي هووو! حصل على ضربة منهم هو أيضاً. وكان الإسكافي يصيح طوال الوقت «نعم أيتها الهراوة! نعم! حتى تعيد لي حملي وغطاء مائدتي!». فلم يبق أمام العجوز شيء سوى أن ترد له ممتلكاته. فأمرت أن يجلبوا لها الحمل وغطاء المائدة. وما إن صارا بيد الإسكافي وتأكد منهما، حتى صاح: «أيتها الهراوة، كُفّي!». ومضى حاملاً هداياه الثلاث مسرعاً بقدر ما يستطيع إلى زوجته وأبنائه. وفي البيت، سعدوا بمقدمه. وعم البيت فرح غامر، لان لديهم الآن الوفير من المال والطعام، إلا أنهم لم ينسوا الرب والناس، فصاروا يساعدون كل محتاج وفقير.

Twitter: @ketab_n

حكايات بولندية

اللغة البولندية واحدة من أجمل اللغات ومن أكثرها مرونة، إلا أنها تتشوه بإملاء يجعل القراء الإنجليز يتصورون أن من العسير عليهم النطق بها، وهذا أمر لا يتصل بالواقع بأي حال من الأحوال. فالحرف z في البولندية كثيراً ما يأخذ الوظيفة التي يؤديها الحرف h بالإنجليزية، بمعنى أنه يلطف من الصامت الذي يسبقه من دون أن تكون له أي قوة بحد ذاته. على هذا فان cz هو المعادل الدقيق في البولندية لـ ch في الإنجليزية، و sz يمثل بالضبط الـ sh في الإنجليزية. والخصائص الكبيرة الأخرى في اللغة البولندية هي r المهموس، الذي يكتب rz، والأصوات الأنفية المكتومة في a الطويل (كما في on) و e الطويلة (كما في en في الفرنسية)، ويتمثل l الخفيف بالنبر المدوّر بحرف l، وهو صوت ll في الإنجليزية في نهاية كلمة bull، لكن يصعب نطقه بهذا النحو عندما يكون في بداية كلمة أو وسطها.

Twitter: @ketab_n

لقد أنجبت بولندا، أو بالأحرى ليتوانيا حيث طبقتها الأرستقراطية بولندية، شاعراً كبيراً حقاً، هو ميكيفيتش Mickiewicz[1]، الذي كتب شعراً جميلاً يجدر الاهتمام به كشخصية أدبية جذابة كما دراسة لغته. انظر كتاب «روسيا» لمورفل Morfill[2] (إصدارات Sampson Low، 1880)، ص 207 - 272. وواحدة من أجمل قصائد ميكيفيتش، Pan Taddeus[3]، قد ترجمتها مؤخراً الآنسة أ. أي بغز M. A. Biggs (إصدارات Trubner and Co).

نتعرف في الحكاية البولندية، «كوستشي الخالد Kostchey the Deathless»، الذي يلعب دوراً كبيراً

(1) هو الشاعر والكاتب البولوني ادم بيرنار ميكيفيتش دي بوراج Adam Bernard Mickiewicz de Poraj (ولد في العام 1798في المنطقة التي تعرف حاليا بـ«ناواهراداك» في بيلاروسيا، وتوفي في اسطنبول في العام 1855).

(2) هو W.R. Morfill، الذي قدم «كتاب أسرار اينوخ» إلى أوربا مترجما من الروسية. و»اينوخ» [مأخوذ عن العبرانية القديمة «خانوخ»]، وهو بالعربية «اخنوخ»] هو جد النبي نوح عليه السلام. وتتصل كلمة «خانوخ» بالكلمة العبرية الحديثة chi–nuch، التي تعني الأنوار، والحكمة، والروحانية. كان لا يعرف هذا الكتاب، على مدى 1200 عام، إلا قلائل في روسيا. وعندما قُدِّم للعالم الغربي لأول مرة في العام 1892، قيل إنه نسخة سلافية عن «كتاب اينوخ». وتأكد عدم صحة هذا الزعم. وقد لقي حفاوة بالغة في أوساط المسيحيين في العالم الغربي، إذ هو يتحدث عن أصول المسيحية والعالم الآخر. وكتب في مصر وترجم إلى الإغريقية، التي ضاعت نسختها، وبقيت النسخة السلافية مة عن الإغريقية وليس هو الكتاب السلافي الأصل، الذي يبدو أنه أخذ منه. وكان له تأثير مباشر في مدوني العهد الجديد. و «اينوخ» هو ابن جارد، جد نوح الأعلى، ووالد متشولح، حسب ما يذكر سفر التكوين (م).

(3) القصيدة في الأصل Tadeusz Pan 1834، أي «السيد تاديوز»، وهي نص شعري طويل (م).

Twitter: @ketab_n

في الحكايات الروسية، لكنه غير معروف تماماً بهذا الاسم في أوساط السلافيين الجنوبيين وغالبية الغربيين منهم. فقد حل في مكانه عندهم أشكال من التنانين والشياطين من مختلف الضروب. ويحتمل أن اسمه مشتق من «كوست kost»، أي «عظم»، وعلى هذا الأساس سميت لإضفاء المسحة الإنجليزية عليها من خلال نحت الاسم. ويفترض عموماً أن هذه الشخصية ترمز إلى الشتاء، إذ لا شك هو ينفض أوراق الأشجار ويظهرها بمظهر يشابه الهيكل العظمي كثيراً. ففي حكاية عن حكومة بيرم Perm[1]، أوردها السيد رالستن Ralston، ينكشف سر خلوده، وعلى هذا الأساس يُقتل. لكن لا يسعني أن استنتج أن موته يتكرر سنوياً، وبأنه يستأنف سطوته سنوياً في موسمه، ليقتل من جديد عند الربيع. وتمكن مقارنة حكاية «روح إنسان مدفون» بعدد من الحكايات الروسية التي أوردها السيد رالستن (ص 185 ـ 193). أما حكاية «الفتاة الشاحبة» فهي فريدة في قسم أوروبا الشرقي عنها في قسمها الغربي، وتقرأ حكاية «حشد الطاعون» وكأنها حلمٌ حُلِمَ به بعد تناول كمية كبيرة من شراب الفودكا، مثلما هي قصة فلكلورية أصيلة. وكذا

(1) بالروسية Пермь مدينة ومركز إداري لبيرم كراي، في روسيا، على ضفاف نهر كاما Kama، في القسم الأوربي من روسيا على مقربة من جبال الاورال (م).

Twitter: @ketab_n

هو الأمر مع العديد من أساطير كروفتن كروكر Crofton Croker عن جنوب آيرلندا.

وسبق أن ظهرت حكاية «الأمير فجاءة» في «مجلة الفلكلور» بعددها لشهر يناير1884. وبودي أن أشير إلى إنني أشك في وجود ما يوازيها في أي لغة أخرى في مستوى جمال بنائها وسردها.

Twitter: @ketab_n

الأمير فجاءة[1]

في قديم الزمان كان ثمة ملك وملكة مرّ على زواجهما ثلاث سنوات، لكنهما لم يرزقا بأطفال، وهذا ما جعلهما في أسى شديد. وفي إحدى المرات، اضطر الملك للقيام بجولة يتفقد فيها ممتلكاته، فترك ملكته وغاب عن البيت ثمانية شهور. ومع اقتراب نهاية الشهر التاسع، قفل الملك راجعاً من تجواله في مناطق بلاده، وكان الأمر قاسياً عليه بالمقارنة مع عاصمته، فقد جال في سهول غير مأهولة في أشدّ أيام الصيف حرارة، فشعر بظمأ شديد فأرسل خدمه ليبحثوا في الجوار علهم أن يجدوا ماء في مكان ما ويعلموه في الحال.

وتفرق الخدم، كل مضى إلى ناحية، وبحثوا من دون جدوى على مدى ساعة من الزمان، وعادوا إلى ملكهم من دون أن يفلحوا في العثور على ماء. فشرع الملك الذي أضناه العطش بعبور السهل بأكمله ومضى بعيداً، غير مصدق بعدم وجود نبع

(1) أطلق عليه هذا الاسم لأن ولادته لم تكن متوقعة لأبويه، مفاجئة لهما (م).

Twitter: @ketab_n

هنا في هذا المكان أو ذاك، ومن على حصانه، وعلى بقعة من السهل، لم تعرف ماء البتة في السابق، لمح ينبوعاً محاطاً بسياج خشبي، مليء حتى حافته بماء متدفق، وفي وسطه يطفو قدح من فضة قبضته ذهبية. قفز الملك من على حصانه، ومد يده اليمنى إلى القدح، لكن القدح، وكأنه حي وله عينان، اندفع بسرعة إلى أحد الجوانب وراح يطفو. جثا الملك وراح يحاول الإمساك بالقدح، مرة بيده اليمنى ومرة بيده اليسرى، لكن القدح ظلّ يتحرك ويراوغ هنا وهناك بنحو أعجز الملك عن الإمساك به بيد واحدة، فحاول الإمساك به بكلتا يديه. لكن ما كاد يمسك به حتى غطس القدح في الماء مثل سمكة، ثم طفا ثانية على سطح الماء. فتمتم الملك: «أف! لن أتمكن من الشرب بهذا القدح، سأتدبر أمري من دونه».

فانحنى على الماء، الذي كان صافياً صفاء بلور وبارد برودة ثلج، وشرع يروي عطشه. في هذه الأثناء غطست لحيته، وكانت تصل إلى حزامه، في الماء. وبعدما روى عطشه، أراد أن ينهض، لكن شيئاً ما كان يمسك بلحيته ويمنعه من النهوض. فراح يسحب لحيته، لكن من دون جدوى، وأخذ يصيح غاضباً: «أمن أحد هنا؟ دعني!».

Twitter: @ketab_n

فأجابه صوت: «هذا أنا، ملك جوف الأرض، النحيل الخالد، ولن أدعك تمضي من دون أن تعطيني ما تركته في البيت وأنت لا تدري، والذي لا تتوقع أن تجده لدى عودتك».

نظر الملك في أعماق النبع، فشاهد رأساً ضخماً مثل حوض، وعيوناً خضراً، وفماً من الأذن حتى الأذن يمسك بلحية الملك ببراثن مثل براثن سلطعون[1]، وكان يضحك ضحكة مكر. فظن الملك أن الشيء الذي لم يعلم به قبل مغادرته بجولته، والذي لا يتوقع أن يجده عند عودته، قد لا يكون ذا قيمة كبيرة، لذا قال للبعبع: «أعطيك إياه».

فانفجر البعبع ضاحكاً واختفى بومضة نار، واختفى النبع معه أيضاً، والماء، وسور الخشب، والقدح، ووجد الملك نفسه مرة أخرى على أكمة فيها شجيرة تنحني على رمل جاف، ولا شيء غير هذا. نهض الملك، وشكر ربه، وامتطى جواده، وأسرع متجهاً إلى خدمه حتى وصلهم.

في أسبوع أو ربما أسبوعين، وصل الملك إلى عاصمة مملكته، وتجمهر الناس في استقباله، وتوجه بموكبه إلى باحة القصر ودخل الرواق. وكانت الملكة جالسة في الرواق تنتظره، وفي حضنها

(1) سرطان البحر (م).

Twitter: @ketab_n

لفّة يتمدد فيها طفل، جميل كالقمر، يرفس بأقدامه في القماش الملفوف. فتذكر الملك، وتأوه بحزن، وقال في نفسه: «هذا ما تركته بلا علم مني ووجدته كما لم أتوقع!».

فبكى بمرارة وألم. وذُهل جميع من كان حاضراً، لكن ما من أحد منهم تجرأ على سؤاله عن السبب. تناول الملك ابنه، من دون أن ينطق بكلمة، ودموعه تسيل، وحمله إلى القصر، ووضعه في المهد، وراح يكرس نفسه لحكم مملكته، كاتماً محنته، وما كان مستمتعاً بالحكم كما سابق عهده، ما دامت تعذبه فكرة أن في يوم ما سيأتي النحيل ويطالب بابنه.

مرت أسابيع، وانقضت شهور، وتوالت أعوام، و لم يأت أحد ليطالبه بابنه. وكبر الأمير، الذي سمّوه «فجاءة»، ونما، وصار شاباً وسيماً. وبمرور الزمان أيضاً، استعاد الملك بهجته المعتادة، ونسي ما كان، لكن وأسفاه! لا أحد ينسى بسهولة.

وذات مرة، وبينما الأمير في رحلة صيد في الغابة، انفصل عن حاشيته ووجد نفسه في برية وحشية. وعلى حين غرة، ظهر أمامه شيخ بشع الشكل، أخضر العينين، وقال له له: «كيف حالك، أيها الأمير فجاءة؟ جعلتني انتظرك زمناً طويلاً».

Twitter: @ketab_n

فرد عليه الأمير: «ومن أنت؟».

فقال له الشيخ: «هذا ستعرفه في ما بعد، لكن الآن، عندما تعود إلى أبيك، أبلغه تحيتي، وأبلغه بأني سأسعد لو سدد الدَّين لي، وإذا لم يسدده لي قريباً ومن تلقاء نفسه، فسيندم على ذلك مرير الندم».

وبعد أن قال هذا الكلام، اختفى الشيخ البشع، واستدار الأمير بحصانه والدهشة تتملكه، وانطلق إلى البيت وأخبر الملك بمغامرته. شحب وجه الملك وصار بلون ملاءة، وكشف السرّ المريع لابنه. فرد الأمير: «لا تبكِ يا والدي! هذه ليست بالمصيبة الكبيرة! سأتدبر أمري وأجبر نحيل على التخلي عن حقه فيَّ، الذي احتال عليك فيه بمكر كبير، وإذا لم أعد في خلال سنة، فهذه علامة على أننا بعد ذلك فقدنا بعضنا بعضاً».

واستعد الأمير لرحلته، وأعطاه الملك درعاً من الفولاذ وسيفاً وحصاناً، فيما علقت الملكة حول رقبته صليباً من الذهب الخالص. ولحظة مغادرته، تعانقوا بمودة كبيرة، وبكوا من كل قلوبهم، وغادر الأمير.

Twitter: @ketab_n

وسار لمدة يوم ويومين، وثلاثة، وفي نهاية اليوم الرابع عند غروب الشمس، وصل إلى شاطئ البحر، لمح في الخليج اثني عشر رداء، بيضاً كالثلج، على الرغم من أن لا حياة لشيء في هذا الماء على مرمى البصر، ليس سوى اثنتي عشرة إوزة بيض، تسبح على مسافة عن الشاطئ. فاعتراه الفضول ليعرف صاحبها، فأخذ أحد الثياب، وأفلت فرسه في المرج، وأخفى نفسه في أيكة قريبة، وراح ينتظر ليرى ما سيحدث. وبعد حين، حينما انتهت الإوزات من المرح في البحر، سبحت إلى الشاطئ، وتوجهت إحدى عشرة منهن إلى الثياب، ورمت كل واحدة منهن بنفسها على الأرض وصارت آنسة جميلة، وارتدت ملابسها بسرعة، وطارت بعيداً في السهل. أما الإوزة الثانية عشرة، وكانت آخرهن وأجملهن جميعاً، فلم تجرؤ على الخروج إلى الشاطئ، لكنها مدّت رقبتها بحزن، ناظرة في كل الاتجاهات. ولمّا رأت الأمير نادته بصوت بشري: «أيها الأمير فجاءة، أعطني ثوبي، وسأكون لك ممتنة».

فاستجاب إليها الأمير، ووضع ثوبها على العشب، واستدار محتشماً إلى الجهة الأخرى. فجاءت الإوزة إلى العشب، وغيرت نفسها إلى فتاة، وارتدت ملابسها على عجل، ووقفت قبالة

Twitter: @ketab_n

الأمير، كانت شابة وأجمل ما رأته عين وسمعته أذن. فمدت إليه يدها البيضاء، وهي تحمر خجلاً، وتطأطئ عينيها، فقالت بصوت لطيف: «أشكرك، أيها الأمير الطيب، على استجابتك لي: أنا أصغر بنات النحيل الخالد، لديه اثنتا عشرة بنتاً، وهو يحكم مملكة جوف الأرض. وأبي، أيها الأمير، كان يتوقع مجيئك منذ زمن طويل وهو غاضب للغاية، على أي حال لا تحزن، ولا تخف، لكن افعل ما أخبرك به حسب. فعندما ترى الملك نحيل، اجث على ركبتيك، ولا تهتم بصياحه وتوبيخه وتهديداته، ولا تتجاسر عليه. وستعلم بعد حين ماذا سيحدث، لكن علينا المغادرة الآن».

وبعد أن قالت هذه الكلمات، دقت الأميرة برجلها الصغيرة على الأرض، فانفجر في الحال نبع من الأرض، ونزلا إلى مملكة الجوف، مباشرة في قصر نحيل، الذي كان يضيء الأعماق بنور أسطع من شمسنا. فخطت الأميرة بقدمين واثقتين إلى غرفة الاستقبال. وكان نحيل جالساً على عرش ذهبي وعلى رأسه تاج يتلألأ، وكانت عيناه تومضان مثل صحنين من زجاج أخضر، ويداه مثل براثن السلطعون. جثا الأمير، حالما لمحه من مسافة، على ركبتيه، وراح نحيل يزمجر بصوت رهيب حتى أن

Twitter: @ketab_n

أقبية السلطنة اهتزت، لكن الأمير زحف على ركبتيه بثقة باتجاه العرش، وعندما صار على بعد خطوات منه، تبسم الملك وقال: «لديك حظ كبير لأنك أفلحت في جعلي أبتسم، ولتقم في مملكتنا الجوفية، لكن إلى أن تصبح من أهلها حقاً، فأنت ملزم بتنفيذ ثلاثة أوامر لي، لكن لم يعد هناك وقت اليوم، سنبدأ غداً، وحتى ذلك الحين امض إلى غرفتك».

نام الأمير مرتاحاً في الغرفة التي خصصت له، وفي باكر اليوم اللاحق استدعاه نحيل وقال له: «سوف نرى، أيها الأمير، ما يمكنك فعله. في أثناء الليلة القادمة ابن لي قصراً من رخام خالص، واجعل شبابيكه من بلور، وسقفه من ذهب، تحيطه حديقة زاهية، وفي الحديقة أسرة وعيون، فإذا بنيته، ستنال مودتي، وإذا لم تفعل، سآمر بقطع رأسك».

عندما سمع الأمير ذلك، عاد إلى مخدعه، وجلس يفكر حزيناً بالموت الذي يهدده، وبينما هو هكذا جاءت نحلة تطن خارج النافذة وقالت له: «اسمح لي بالدخول!». ففتح النافذة، ودخلت النحلة، التي كانت هي الأميرة، أصغر بنات نحيل، وظهرت أمام الأمير الحائر. وراحت تسأله: «ها أيها الأمير فجاءة، بماذا تفكر؟».

Twitter: @ketab_n

فأجابها: «للأسف! أفكر بأن أباك يريد أن يسلبني حياتي».

فقالت له: «لا تخف! تمدد ونم، وعندما تستيقظ غداً صباحاً ستجد قصرك جاهزاً». فأذعن لذلك. وعند الفجر، خرج الأمير من غرفته ولمح قصراً أجمل من كل ما رأى، وتعجب نحيل لمّا شاهده ولم يصدق عينيه. فقال له: «حسن! لقد ربحت هذه المرة، والآن إليك أمري الثاني: سأضع بناتي الاثنتي عشرة قدّامك غداً، فإذا لم تحزر أيهن الصغرى، سأقتلك». فراح الأمير يتساءل وهو في غرفته «أوَ سأعجز عن تمييز الأميرة الصغرى! فما العسير في ذلك؟».

فأجابت الأميرة وهي تطير في الغرفة بشكل نحلة: «العسير هو إن لم أساعدك، لن تتعرف إليّ، لأننا جميعاً متشابهات وما من أحد يميز بيننا سوى أبينا ومن خلال ملبسنا».

فقال الأمير: «وماذا عليّ أن افعل؟».

فردت عليه: «ماذا عليك أن تفعل، طبعاً! الأميرة الصغرى هي التي تلمح على عينها اليمنى دعسوقة، أمعن النظر فقط. وداعاً!» في اليوم اللاحق، استدعى الملك نحيل مرة أخرى الأمير فجاءة. كانت الأميرات يقفن في صف واحدة إلى

Twitter: @ketab_n

جانب الأخرى، ويرتدين كلهن ملابس متشابهة وقد أطرقن رؤوسهن. نظر الأمير وتعجب من شدة تشابه الأميرات، وراح ينظر إليهن مرة، ومرة أخرى، لكنه لم يجد العلامة التي أشارت له بها، وفي المرة الثالثة رأى دعسوقة على حاجب إحداهن، فصاح: «هذه هي الأميرة الصغرى!». فقال نحيل غاضباً: «وكيف حزرت ذلك؟ إن في الأمر خدعة. علي أن أتعامل معك بنحو مختلف. خلال ثلاث ساعات، ستعود إلى هنا، وستظهر ذكاءك بوجودي. سوف أشعل عود قش، وعليك أن تحيك زوج أحذية قبل انطفائه، وان لم تفعل ستهلك».

عاد الأمير قانطاً ووجد النحلة وقد سبقته إلى غرفته. فقالت له: «لمَ أنت مهموم ثانية أيها الأمير؟».

فرد متسائلاً: «وكيف لي ألاّ أكون مهموماً، وأبوك يريدني أن أحيك زوج أحذية، وأي إسكافي أنا؟».

فقالت له: «وماذا ستفعل؟».

فقال لها: «ماذا عليَّ أن افعل؟ لن أحيك الأحذية، ولست أهاب الموت، فكل واحد منا سيموت يوماً ما!».

Twitter: @ketab_n

فأجابته: «لا أيها الأمير، ليس عليك الموت بهذه الطريقة! سأجهد لإنقاذك، وسنهرب معاً أو نهلك معاً! علينا الفرار، فما بوسعنا شيء غير هذا».

قالت هذا ووضعت سائلاً من فمها على زجاج النافذة، وتجمد اللعاب في الحال. بعدئذ خرجت من الغرفة برفقة الأمير، وأوصدت الباب وراءها، ورمت المفتاح بعيداً، ومن ثم سارا يمسكان بأيدي بعضهما، وصعدا بسرعة، وفي لحظة وجدا نفسيهما في البقعة التي كانا قد نزلا منها إلى مملكة الجوف، وكان البحر نفسه، والشاطئ نفسه المليء بنباتات السمار والصبار، والمرج النضر نفسه، وفي وسط المرج وقف حصان الأمير وقد تغذى جيداً، الذي ما إن رأى فارسه، حتى جاء يعدو إليه مباشرة. لم يتوقف الأمير طويلاً ليفكر، بل قفز إلى ظهر حصانه، وأركب الأميرة خلفه، وانطلقا سريعاً كسهم.

عند الوقت المعين، لم ينتظر الملك نحيل مجيء الأمير فجاءة، بل أرسل يسأله عن سبب تأخره. وعندما وجد الخدم الباب مغلقاً، طرقوا الباب بشدة، فرد اللعاب عليهم من وسط الغرفة بصوت الأمير: «حالاً! حالاً!» فحمل الخدم هذه الإجابة إلى الملك، فانتظر، وانتظر، و لم يأت الأمير، فعمد ثانية إلى إرسال

Twitter: @ketab_n

الخدم أنفسهم، فسمعوا الإجابة نفسها: «حالاً! حالاً!» وحملوا ما سمعوه إلى الملك. فزمجر الملك حانقاً: «ما هذا؟ هل يقصد السخرية مني؟ اذهبوا حالاً، واكسروا الباب، وائتوني به!» فهرع الخدم، وكسروا الباب، واندفعوا في الغرفة. فماذا وجدوا؟ ما فيها احد، وكان اللعاب على مشبك النافذة يقهقه ضاحكاً منهم. انفجر نحيل غضباً، وأمرهم جميعاً أن يلحقوا بالأمير، مهدداً إياهم بالموت إنْ هم عادوا فارغي الأيدي. فتقافزوا على ظهور الجياد وانطلقوا مسرعين خلف الأمير والأميرة.

في هذه الأثناء، كان الأمير فجاءة والأميرة، ابنة نحيل، يشقان طريقهما بسرعة على حصانهما النشيط، وفي خضم انطلاقهما سمعا «ترامب، ترامب»، وراءهما. فوثب الأمير من على فرسه، ووضع أذنه على الأرض، وقال: «إنهم يلاحقوننا، لا وقت لدينا لنضيعه». وفي اللحظة، حولت الأميرة نفسها إلى نهر، وحولت الأمير إلى جسر، والحصان إلى غُداف[1]، وانقسم الطريق الرئيس وراء الجسر إلى ثلاثة دروب. وبرشاقة على الدرب الجديد، كان المطاردون يسرعون، فوصلوا إلى الجسر، ووقفوا عليه مندهشين، وشاهدوا الدرب إلى الجسر، لكن هذا الدرب يختفي من بعده، وينقسم الطريق الرئيس إلى ثلاثة طرق. فما كان هناك شيء ينبغي فعله غير الرجوع،

(1) غراب أسود (م).

Twitter: @ketab_n

وعادوا أدراجهم صفر الأيدي. وراح نحيل يزمجر غضباً، وصرخ: «جسر ونهر! هذان هما. كيف لم تحزروا ذلك؟ عودوا، ولا ترجعوا إليَّ من دونهما!». وانطلق المطاردون مجدداً في إثرهما.

همست الأميرة، ابنة نحيل، وهي مرتعبة للأمير فجاءة: «أنا أسمع ترامب، ترامب!». فترجل الأمير عن صهوته ووضع أذنه على الأرض، وأجابها: «إنهم يسرعون، وليسوا بعيدين منا». وفي هذه اللحظة صارت الأميرة والأمير، ومعهما حصانهما، غابة مظلمة، تخترقها دروب، والدروب تتفرق إلى دروب، وممرات لا يحصى عددها، ويتراءى على أحد الدروب وكأن راكبين على فرس يمران مسرعين فيه. وتبع المطاردون الدرب الجديد ووصلوا إلى الغابة، وعندما لمحوا الفارين، انطلقوا بسرعة ورائهما. وراح المطاردون يسرعون ويسرعون، ويرون على الدوام أمامهم غابة كثيفة، ودرب واسع يتخللها والفارّان يعدوان فيه، الآن، الآن، حتى ظنوا أنهم يدركونهما، اختفى الفارّان بغتة والغابة الكثيفة معهما، ووجدوا أنفسهم في المكان نفسه حيث بدأوا ملاحقتهم. لذا، عادوا ثانية إلى نحيل خالي الوفاض. فأرغى نحيل وأزبد: «حصان، حصان! سأذهب بنفسي! لن يفلتوا من يدي!»، وانطلق ساعياً وراءهما.

Twitter: @ketab_n

ومرة أخرى قالت الأميرة للأمير فجاءة: «يبدو لي أنهم يلاحقوننا، وهذه المرة نحيل، أبي، بنفسه، لكن أول كنيسة هي حدود ملكه، ولن يتمكن من ملاحقتنا أبعد منها. أعطني صليبك الذهبي». فنزع الأمير هدية أمه العزيزة وأعطاها إلى الأميرة، وفي لحظة تحولت الأميرة إلى كنيسة، وتحول هو إلى قسيس، والحصان إلى ناقوس، وفي تلك اللحظة وصل نحيل. فسأل نحيل القسيس: «أيها الناسك! ألم ترَ أشخاصاً يمرون من هنا على ظهر حصان؟». فرد القسيس: «قبل قليل مر الأمير فجاءة من هذا الطريق مع الأميرة، ابنة نحيل. لقد جاءوا إلى الكنيسة، وأقاما صلاتهما، ومنحا مالاً لإقامة قدّاس لتنعم بصحة جيدة، وأمراني أن أبلغك احتراماتهما إنْ مررت بهذا الطريق».

وقفل نحيل راجعاً أيضاً خالي اليدين. فركب الأمير فجاءة مع الأميرة، ابنة نحيل، من دون أن يخشيا من ملاحقة أحد لهما.

كانا يسيران بهدوء، عندما شاهدا أمامهما مدينة جميلة، شعر الأمير برغبة عارمة لدخولها. فقالت الأميرة: «لا تذهب أيها الأمير، فقلبي ينذرني بشيء سيء فيها». فرد عليها الأمير: «سأمر بها لوقت قصير فقط، لأتطلع فيها، ثم نستكمل رحلتنا». فقالت: «من السهل الذهاب إليها،

Twitter: @ketab_n

لكن هل ستكون سهلة العودة منها؟ ومع ذلك، كما ترغب تماماً، اذهب أنت، وسأبقى هنا في شكل صخرة بيضاء حتى عودتك، وكن حذراً، يا حبيبي، فالملك والملكة، وابنتهما الأميرة، سيخرجون للقائكم، وسيكون معهم طفل صغير جميل ـ لا تقبّله، فلو فعلت ستنساني في الحال، ولن تراني عينك إلى الأبد في هذه الدنيا وسأموت كمداً. سأنتظرك هنا على الطريق ثلاثة أيام، وإن لم تعد في اليوم الثالث، تذكر أني سأهلك، وسيهلك كل شيء معك». غادر الأمير متجهاً إلى المدينة، وحولت الأميرة نفسها إلى صخرة بيضاء، وظلت قابعة على الطريق.

مر يوم، وجاء ثان، وانقضى الثالث، و لم يُرَ شيء من الأمير. يا لهذه الأميرة المسكينة! فهو لم يمتثل لنصيحتها، ففي المدينة، جاء الملك والملكة وابنتهما الأميرة للقائه، وكان يسير معهم ولد صغير، أجعد الشعر يثرثر، عيناه تلمع كجمتين. اندفع الطفل وألقى بنفسه بين ذراعي الأمير، الذي افتتن بحسن الصبي الذي أنساه كل شيء، وقبّل الطفل بمودّة. فأظلمّت ذاكرته في الحال، ونسي الأميرة، ابنة نحيل، تماماً.

Twitter: @ketab_n

كانت الأميرة ملقاة هناك صخرة بيضاء على جانب الطريق، ومر عليها يوم، ويومان، وعندما انقضى اليوم الثالث و لم يعد الأمير من المدينة، حولت نفسها إلى نبتة قنطريون عنبري[1]، وسط نبات الجاوْدار المتناثر على جانب الطريق.

«سأبقى هنا على جانب الطريق، لعل أحد المارة يقتلعني أو يسحقني على الأرض بقدميه»، قالت الأميرة لنفسها ودموعها مثل قطرات ندى تتألق على بتلاتها التي بزرقة لون السماء. وجاء شيخ يمشي على جانب الطريق، فلمح نبتة القنطريون العنبري وسط نبات الجاوْدار المتناثر على حافة الدرب، فافتتن بجمالها، وسحبها بعناية من الأرض، وحملها إلى داره، ووضعها في وعاء زهور، وسقاها بالماء، وأخذ يتولاها بعناية كبيرة. ويا للمعجزة! فمنذ أن دخلت هذه النبتة بيته، والعجائب من كل نوع تحدث فيه. فمن النادر أن استبقظ العجوز يوماً من نومه، من دون أن يجد كل شيء في البيت مرتباً، وما من ذرة غبار فيه. وعند الظهيرة، عندما يعود، يجد الغداء جاهزاً، والمائدة معدّة، وما عليه سوى الجلوس وتناول الطعام بقدر ما يريد. وكانت الدهشة تنقل العجوز إلى دهشة أخرى، حتى تملكه الذعر في نهاية المطاف، وسعى ليحصل على مشورة عرّافة عجوز من

(1) نبتة نحيلة أوراقها زرقاء غامقة زاهية (م).

Twitter: @ketab_n

معارفه في الحي الذي يسكنه. فأشارت، عليه العرافة: «افعل هذا: أنهض من نومك قبل ذؤابة الفجر، قبل أن تصيح الديكة معلنة النهار، وارقب بدقة ما الذي سيبدأ بالحركة أولاً في البيت، وغطي هذا الذي يتحرك بهذا المنديل: ماذا سيحدث بعدئذ، هذا الذي ستراه».

لم يغمض العجوز عينيه طوال الليل، وما إن تراءى أول بصيص وصارت الأشياء تُرى في البيت، حتى شاهد كيف أن النبتة تحركت فجأة في وعاء الزهور، ووثبت خارجة منه، وراحت تتحرك في الغرفة، وكل شيء يضع نفسه في مكانه، وبدأ الغبار يلملم نفسه ويتنظف، وأوقدت النار نفسها في الموقد. قام العجوز بمهارة من سريره ووضع المنديل على الزهرة فيما كانت تسعى للهرب، عندها... لوو! صارت الزهرة فتاة جميلة ـ هي نفسها الأميرة، ابنة نحيل، وصرخت به: «ماذا فعلت؟ لمَ أعدتني إلى الحياة ثانية؟ فخطيبي الأمير فجاءة قد نسيني، وصرت أبغض الحياة من دونه».

فرد العجوز: «خطيبك الأمير فجاءة سيتزوج اليوم، وقد أُعدت مأدبة الزفاف، وبدأ الضيوف يتقاطرون».

Twitter: @ketab_n

بكت الأميرة، وبعد وقت جففت دموعها، ووضعت عليها رداء صوفياً خشناً، ومضت إلى المدينة مثل فتاة قروية. ودخلت المطبخ الملكي، حيث كان يعم الضجيج والصخب. وتوجهت إلى القيّم على المطبخ بتواضع ولباقة جذابة، وقالت له بصوت عذب: «سيدي العزيز، اصنع فيَّ معروفاً، واسمح لي أن أصنع كعكة الزفاف للأمير فجاءة».

ولأن القيّم على المطبخ كان منهمكاً بالعمل، فأول شيء بدر منه هو رفض طلب الفتاة، لكن عندما نظر إليها، ماتت الكلمات على شفتيه، وأجابها بلطف: «إيه، يا جميلة الجميلات! افعلي ما تريدين، سأعطي الأمير من كعكتك بنفسي».

وسرعان ما جهزت الكعكة، وكان المدعوون كلهم جالسين إلى المائدة. ووضع قيّم المطبخ بنفسه كعكة ضخمة في طبق من فضة قدّام الأمير، لكن ما كاد الأمير يقطع من جانبها، حتى... لوو!... ظهرت معجزة لم يسمع بها أحد أمام الحضور جميعاً. فقد خرج من الكعكة ذكر حمام رمادي اللون وحمامة أنثى بيضاء اللون، مشى ذكر الحمام على طول الطاولة ومشت الحمامة الأنثى وراءه، وهي تهدل:

Twitter: @ketab_n

«ابقَ، ابقَ، يا حمامتي الحبيبة، ابقَ!

وعن الحب الحقيقي لا تنأى؛

فأنا وراء حبيبي الخائن أسعى،

الأمير فجاءة الذي

بابنة نحيل غرَّر ومضى».

وما كاد الأمير فجاءة يسمع هديل الحمامة هذا، حتى ارتدت إليه ذاكرته، وهبّ ناهضاً من المائدة، وهرع إلى الباب، ومن وراء الباب سحبته الأميرة، ابنة نحيل، من يده، ومضيا معاً عبر الرواق، وكان يقف قبالتهما حصان مُسرج ومُلجَم.

و لِمَ يتأخران؟ وثب الأمير فجاءة والأميرة، ابنة نحيل، على ظهر الحصان، وانطلقا بطريقهما، وفي النهاية وصلا سعيديْن إلى ديار الملك والد فجاءة. واستقبلهما الملك والملكة ببهجة وحبور، و لم ينتظرا طويلاً حتى أعدا لهما عرساً بهياً، لم تر عين له شبيهاً و لم تسمع أذن بمثله.

Twitter: @ketab_n

روح إنسان مدفون

كان هناك علاّمة فقير الحال يسير على طريق رئيس متجهاً إلى إحدى المدن، فعثر بجانب أسوار بوابة المدينة على جثة رجل ميت، لم يدفن، تطؤها أقدام المارة. ولم يكن في كيسه الكثير من الدراهم، إلاّ أنه أعطى منها ما يكفي عن طيب خاطر ليدفن الجثة، كي لا يتشاجر معه أحد أو يضربونه بالعصي على قلّة مال الدفن. وصلّى على القبر الجديد، ومضى في سبيله يهيم في هذه الدنيا. وعندما مرَّ بغابة سنديان، غالبه النوم، وحينما استيقظ لمح، والدهشة تبلغ منه مبلغاً، كيساً مملوءاً بالذهب. فشكر يد الغيب المباركة وأثنى عليها، وجاء إلى ضفة نهر واسع، حيث كان عليه عبوره بعبّارة. ولمّا لمح صاحبا العبّارة الكيس المليء بالذهب، ناداياه أن يركب زورقهما، فركب، وسارا به ثم انقضا عليه كدوامة وأخذا منه الذهب وألقيا بالرجل في الماء. وبينما الأمواج تتلاقفه وهو فاقد وعيه؛ حدث أن تشبث صدفة

Twitter: @ketab_n

بلوح خشب، وبمساعدته نجح بالعوم إلى الشاطئ. ولم يكن ذلك لوح خشب، بل روح الرجل الذي دفنه، وخاطبته قائلة: «لقد أكرمت بقاياي بدفنها، فأشكرك على ذلك. وأمارة على العرفان، سأعلمك كيف تصيِّر نفسك غراباً وأرنباً برياً وأيِّلا». ثم علّمه الرُّقية. وعندما عرف العلاّمة الرُّقية، سهل عليه تحويل نفسه إلى غراب، وأرنب بري، وأيِّل. وطاف في طول الأرجاء وعرضها، حتى وصل إلى بلاط ملك عظيم الشأن، حيث عمل رامي سهام في خدمة البلاط. وكان للملك ابنة جميلة، لكنها كانت تقيم في جزيرة يتعذر الوصول إليها، يحيطها البحر من كل صوب. وكانت تعيش في قلعة من نحاس، ولديها سيف لو رفعه أحد لهزم أكبر الجيوش. وحدث أن غزا الأعداء أرض الملك، فتملكت الملك حاجة ورغبة في الحصول على السيف المظفر. لكن كيف الحصول عليه، ولم يفلح أي أحد حتى ذلك الوقت في الوصول إلى الجزيرة المهجورة؟ لذا أعلن بين الناس أن من يتمكن من الإتيان بالسيف المظفر من الأميرة فسوف يتزوج بها، بل أكثر من ذلك، سوف يجلس على العرش من بعده. ولم يتوافر لدى أحد الإقدام الكافي ليحاول ذلك، إلى أن جاء اليوم الذي جلس فيه العالم السائح، وكان عندئذ رامي

Twitter: @ketab_n

سهام ملحق بالبلاط، معلناً استعداده للذهاب إلى الجزيرة، وطلب رسالة تقول إن باستلام هذه العلامة على الأميرة إعطاءه السيف. فدهش الرجال كلهم، وعهد الملك إليه برسالة يحملها إلى ابنته. فمضى إلى الغابة، من دون أن يعلم أن رامي سهام آخر ملحق بالبلاط كان يلاحق خطواته. وفي البداية حوّل نفسه إلى أرنب بري، ثم إلى أيّل، فاندفع بعجلة وسرعة، وقطع مسافة لا يستهان بها، حتى وقف على شاطئ البحر. عندها حوّل نفسه إلى غراب، وطار مجتازاً ماء البحر، وواصل الطيران بسرعة حتى نزل على الجزيرة. وتوجه إلى القلعة النحاسية، وسلم الأميرة الجميلة رسالة أبيها، وطلب إليها إعطاءه السيف المظفر. نظرت الأميرة الجميلة إلى رامي السهام، وقد اسر قلبها في الحال، وسألته بفضول عن كيفية تمكنه من الوصول إلى قلعتها، المحاطة من جهاتها كلها بالماء و لم تطأها أقدام. فرد رامي السهام أنه يعرف رُقيات سرية بها يستطيع تحويل نفسه إلى أيّل وأرنب بري وغراب. فطلبت الأميرة الجميلة من رامي السهام أن يحول نفسه إلى أيّل أمام ناظريها. وعندما حول نفسه إلى أيّل رشيق القوام، وأخذ يتودد إليها ويتقافز حولها، سحبت الأميرة خلسة خصلة من فراء قفاه. وعندما تحول إلى أرنب بري، وراح يثب ويشنّف

Twitter: @ketab_n

أذنيه، عمدت الأميرة خلسة إلى سحب بضعة من فراء قفاه. ولمّا تحول إلى غراب وشرع يطير في الغرفة، سحبت الأميرة سراً بضع ريشات من جناحيه. ثم بعد ذلك كتبت من فورها رسالة إلى أبيها وسلمته السيف المظفر. وطار العالم الشاب عبر البحر بجسد غراب، ثم ركض مسافة طويلة بجسد أيّل، حتى حول نفسه إلى أرنب بري عند منطقة الغابة. وكان رامي السهام الغادر هناك يكمن له، وكان قد شاهده عندما حول نفسه إلى أرنب بري، وتعرّفه في الحال. فسحب قوسه، وأطلق عليه السهم، فقتل الأرنب البري. وأخذ منه الرسالة وحمل السيف، ومضى إلى القلعة، وسلم الملك الرسالة وسيف النصر، وطالبه في الحال بالإيفاء بوعده الذي قطعه. طار الملك فرحاً ووعده فوراً بتزويجه ابنته، وركب فرسه، وسار بجسارة حاملاً على أعدائه بسيفه. وما كاد يلمح رايتهم، حتى لوح بالسيف بقوة مرات عدة، في جهات العالم الأربع.

كانت جموع الأعداء تسقط مقتولة في مكانها مع كل تلويحة بالسيف، وأخذ الذعر من الآخرين مأخذه، فراحوا يفرون مثل الأرانب. وعاد الملك فرحاً بالنصر، وأرسل بطلب ابنته الجميلة

Twitter: @ketab_n

ليزوجها برامي السهام الذي أتى بالسيف. وأعدت مأدبة بهذه المناسبة. وأخذ الموسيقيون يعزفون ألحانهم، وكانت القلعة بأكملها تتلألأ بالأنوار، إلا أن الأميرة كانت تجلس حزينة إلى جانب الرامي القاتل. وعرفت في الحال أنه لم يكن البتة الرجل الذي كانت قد رأته في القلعة على الجزيرة، لكنها لم تجرؤ على سؤال والدها أين ذهب الرامي الوسيم الآخر، واكتفت بالبكاء كثيراً وسراً، فقلبها كان يخفق بقوة.

أما العالم المسكين، في جسد أرنب بري، فقد كان ممدداً مذبوحاً تحت شجرة سنديان، وبقي على هذه الحال عاماً كاملاً، إلى أن شعر في إحدى الليالي بأنه يغط في نوم ثقيل، وأمامه تقف الروح إياها التي يعرفها جيداً، التي كان قد دفن جسدها. فراحت تخبره بما حدث له، وردت إليه الحياة، وقالت له: «غداً زفاف الأميرة، فأسرع إلى القلعة من دون أن تتأخر لحظة، فستعرفك، وسيعرفك أيضاً الرامي الذي قتلك غدراً».

فركب الشاب حصانه من فوره، ومضى إلى القلعة وقلبه يخفق، ودخل الصالة الكبرى، حيث كان ضيوف كثر يأكلون ويشربون. فعرفته الأميرة الجميلة في الحال، وصرخت فرحة، وأغمي عليها، أما الرامي القاتل، ففي اللحظة التي وقعت فيه

Twitter: @ketab_n

عيناه عليه، شحب لونه واخضر من الخوف. عندها قص الشاب خيانة الرامي وفعل ارتكابه القتل، وكي يثبت كلامه، حول نفسه بحضور المجتمعين كلهم إلى أيّل رشيق، وبدأ يتودد إلى الأميرة. وعمدت هي إلى وضع خصلة الفراء التي كانت قد سحبتها منه في القلعة على قفا الأيّل، فأخذ الفراء في الحال مكانه. ثم حول نفسه مرة أخرى إلى أرنب بري، وبالنحو نفسه أخذت خزعة الفراء التي احتفظت بها الأميرة، مكانها حال لمسها موقعها. كان الجميع ينظرون بذهول حتى غير الشاب نفسه إلى غراب. وحملت الأميرة الريش الذي كانت قد سحبته من جناحيه في القلعة، وأخذ الريش في الحال مكانه. عندها أمر الملك العجوز بإعدام الرامي الغادر. فجيء بأربعة خيول جامحة لم يطأها احد، ورُبِط بها من يديه ورجليه، فشرعت الخيول تتقافز على ضرب السياط وبوثبة واحدة مزقت الغادر إرباً. وفاز الشاب بيد الأميرة الشابة الساحرة. وكانت القلعة كلها تترهج بالأضواء البراقة، وراحوا يشربون ويأكلون بمرح، وكفت الأميرة عن البكاء لأنها تزوجت بالرجل الذي تريد وتتمنى.

Twitter: @ketab_n

الفتاة الشاحبة

كان ثمة فلاح يعيش في ظروف قاهرة، وكانت لديه بنت جميلة، أراد فارس عجوز، هو مالك القرية، أن يتزوج بها، حتى لو بالإكراه. لكنه لم يكن يعجب الفتاة، ورفض والداها القبول بهذا الزواج. لذلك، عمد المالك إلى مضايقتهم بشتى السبل التي يقدر عليها، واضطهدهم كثيراً بعمل السُخرة وكان يأمر بضربهم في أدنى مناسبة، و لم يعد الفلاح يطيق هذا الحال، فعزم على نقل عائلته كلها من القرية. وكان في الكوخ الذي يسكنه الفلاح شيئاً ما يصرّ باستمرار وراء الموقد، لكن على الرغم من أنهم بحثوا مرات عدة، وقلبوا المقعد المبني إلى جانب الموقد رأساً على عقب، فقد عجزوا عن إيجاد شيء. لكن في يوم مغادرتهم، وهم ينقلون بقايا أغراضهم، سمعوا صريراً يزداد وضوحاً، وبينما هم يسمعون الصرير بنفاد صبر، وصرير نقل الأغراض وقرقعتها مستمر، قفز من الموقد شكل نحيل شاحب، مثل فتاة مدفونة. فصاح الأب: «أي شيطان هذا؟»، وصرخت الأم: «يا رحمة السماء!»، ولاذ الأولاد كلهم وراءها. فقالت

Twitter: @ketab_n

الفتاة الشاحبة النحيلة «لست بشيطان، بل أنا فاقتكم. وبما أنكم الآن تبعدون أنفسكم عن هذا المكان، فعليكم أخذي معكم إلى مسكنكم الجديد».

لكن رب البيت الفقير لم يكن ساذجاً، ففكر في نفسه قليلاً، و لم يمسك بخناق فاقته المتجسدة بهذه الفتاة و لم يقتلها، لأنها كانت من النحافة إلى درجة أنه لم يكن بمقدوره إلحاق الأذية بها لكنه أبدى الاحترام لها، وقال: «حسن، أيتها السيدة اللطيفة، إن كنت راضية تماماً على العيش بيننا، تعالي معنا، لكن، كما ترين، نحن ننقل أشياءنا كلها، فساعدينا في حمل شيء ما، كي ننتهي من هذا بسرعة».

فوافقت الفاقة على هذا، وراحت تريد نقل إناءين صغيرين إلى خارج البيت، لكن صاحب البيت وزّع الأواني الصغيرة بين أولاده كي ينقلوها، وقال إن هناك مجموعة من الأخشاب في فناء الدار ينبغي أخذها أيضاً. وعندما ذهب إلى فناء الدار، ضرب أعلى الخشب بفأسه وقطعه. ونادى على الفاقة، وطلب إليها بلطف أن تساعده على حمل قطعة الخشب. و لم تعرف الفاقة من أي جهة تحمل كتلة الخشب، فأشار عليها الفلاح بأن تحملها من الشق، فوضعت أصابعها الطويلة النحيفة في الشق.

Twitter: @ketab_n

وفيما كان الفلاح يتظاهر برفع كتلة الخشب من الجانب الآخر، سحب فجأة فأسه من الشق، فانحصرت أصابع الفاقة الطويلة النحيفة في كتلة الخشب، حتى عجزت تماماً عن تخليصها، وصرخت صراخاً عالياً من شدة الألم. لكن من دون جدوى. وحمل الفلاح أغراضه كلها مع أولاده، وغادروا الكوخ، ولم يعودوا إلى ذلك المكان البتة.

لمّا استقر الفلاح في قرية أخرى، جرت الأحوال معه بأفضل وضع ولم يمض وقت طويل حتى غدا أغنى رجل في القرية كلها، وزوّج ابنته بابن فلاح محترم وميسور، في العشرين من عمره، وازدهرت أحوال العائلة كلها. وفي الجهة الأخرى، أراد مالك القرية الأولى، الذي اضطهد هؤلاء الناس البسطاء، أن يسكن أناساً جدداً في الأكواخ الشاغرة، فجاء لتفقد الكوخ الذي غادره الفلاح الفقير، الذي رفض أن يزوجه بابنته. وعندما رأى الفاقة إلى جانب كتلة الخشب تتلوى من ألم أصابعها، رثى لهذه الفتاة الشاحبة، وخلص أصابعها بإسفين رفع به الخشب، وحررها تماماً من هذا الوضع.

ومن حين تخليص الفتاة الشاحبة، لم تغادر مطلقاً رفقة

Twitter: @ketab_n

محررها، بل عندما أضرم الشيطان النار في الموقد القديم، تولع المالك بحب غريب الأطوار في شيخوخته، وراح ينفق من ماله وينفق، حتى بدد في ذلك كل ما يملك.

Twitter: @ketab_n

حشد الطاعون

فقد رجل روثيني[1] زوجته وأبناءه في وباء طاعون ففر من كوخه القفر إلى الغابة باحثاً عن الأمان فيها. فهام في أرجائها اليوم بطوله، وقريباً من المساء بنى لنفسه سقيفة من أغصان الأشجار، وأوقد ناراً صغيرة، وشعر بالنعاس والإرهاق. وبعد أن تجاوز الليل نصفه، أيقظته ضوضاء شديدة. فنهض على رجليه، وأنصت، وسمع شيئاً كأنه أغان على مسافة منه، يصاحبها قرع دفوف ونغمات ناي. فاستمع، وعجبٌ ليس بالقليل يتملكه، من وجود أناس في حبور وقصف فيما الموت يحتدم حولهم.

وراحت الضوضاء التي يسمعها تقترب منه، فلمح هذا البودولي[2] المرتعب حشداً كبيراً يسير على طول الطريق في الغابة. كان ذلك الجمع يبدو حشد أشباح غريب، راح يدور حول كوخ، وكان الكوخ أسود مرتفعاً، وفيه يقبع الطاعون.

(1) نسبة إلى روثينيا Ruthenia تسمية جغرافية وثقافية ـ أثنية تطلق على مناطق في أوروبا الشرقية، تسكنها شعوب سلافية شرقية، كما تطلق على الدول متنوعة كانت قائمة على هذه الأراضي (م).

(2) نسبة إلى منطقة بودوليا Podolia التي تقع جنوب غرب أوكرانيا. وهذا الرجل، كما يشير فراتسلاف، روثيني لجهة جنسيته، وهو بودولي لجهة إقامته (م).

Twitter: @ketab_n

ومع كل خطوة يزداد الجمع المروع، حتى تحول تقريباً كل شيء على الطريق إلى شبح.

ولأن ناره التي أوقدها كانت تشتعل ببطء، فإن دخاناً قليلاً من جمرة كبيرة إلى حد ما كان لا يزال يخرج منها. وما إن اقترب حشد الطاعون حتى نهضت الجمرة على أقدام ومدت ذراعين - وبدأ الجزء المشتعل يبرق بعينين ساطعتين - وأخذت تغني مع إيقاع الآخرين. ذهل القروي، وبرعب أخرس قبض على فأسه وكان يوشك على تسديد ضربة إلى أقرب شبح، إلا إن الفأس طارت من يديه، وتحولت هي الأخرى إلى امرأة طويلة شعرها أسود بلون الغراب، وصارت تغني ثم اختفت أمام عينيه. ومضى حشد الطاعون قدماً، وشاهد البودولي كيف أن الأشجار، والأجمات والبومات الصارخة، اتخذت أشكالاً طويلة، وانضمت إلى الحشد، نذير الموت الرهيب. فشعر أن لا قوة فيه تحمله فخرّ على الأرض، وعندما حل الصباح، أيقظته حرارة الشمس، وكانت الأواني التي حملها معه محطمة ومهشمة، والملابس ممزقة إرباً إرباً، ومؤنه منهوبة. فأدرك أن لا أحد غير حشد الطاعون فعل به هذا الأذى كله، فحمد الرب على نجاته مهما يكن من حال، وشرع يبحث له عن مأوى وطعام.

Twitter: @ketab_n

حكايات سلافية شرقية

Twitter: @ketab_n

حكايات من روسيا البيضاء

نأتي الآن إلى المجموعة الأولى من حكايات تنتمي إلى أولئك السلافيين الذين يستخدمون الحروف السيريلية بدلاً من الحروف اللاتينية. فروسيا البيضاء تحتل غالبية أراضي حكومة مينسك Minsk وموغيليف Mogilef، وجزءاً كبيراً من أراضي فيتيبسك Vitebsk وغروندو Grodno. في هذه الحكايات نشهد تمييزاً بين تعابير سلافية غربية وأخرى شرقية لاصطلاح «عاهل». فالسلافيون الغربيون يستخدمون تعابير «كرال kral» أو «كرول krul» أو «كورول korol»، للإشارة إلى «عاهل»، الذي يعتقد أنه يأتي من اسم العاهل الإفرنجي[1] الكبير، كارل العظيم، الذي يعرفه الإنجليز عموماً بلقبه الفرنسي، شارلمان Charlemagne. أما السلافيون الشرقيون فيستخدمون في العادة تعبير «TZAR»، أي «إمبراطور»، الذي هو لفظ

(1) الفرنجة هم الشعب الجرماني الذي غزا بلاد الغول Gaul (أو الغال) في القرن السادس. والغول، وهي تسمية قديمة، هم سكان منطقة غرب أوربا، التي تضم تقريبا في الوقت الحاضر فرنسا وبلجيكا وغرب سويسرا وأجزاء من هولندا وألمانيا إلى الغرب من نهر الراين (م).

Twitter: @ketab_n

مشوه للتعبير اللاتيني «Caesar»، أي قيصر، وهو لقب أباطرة القسطنطينية، وفي ما بعد لقب الأباطرة الروس. وهكذا، ففي الحكايات الواردة في ما يأتي سنجد أباطرة وإمبراطورات نساء عموماً، وإن لم يكن دائماً، يحلون محل ملوك وملكات، حتى نعود مرة أخرى إلى الغرب.

تتوافر لغة روسيا البيضاء على أدب قليل، لكنه كان يستخدم لأغراض ديبلوماسية من جانب دولة ليتوانيا التي كانت قوية يوما ما (انظر: مورفل، «الأدب السلافي»، إصدارات S.P.C.K، ص 113).

البطلان «التل المنقلب» (Vertogor) و«شجرة البلوط المنقلبة» (Vertodub)، اللذان يظهران في حكاية «حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة»، يترددان أيضاً في حكاية من أكرانيا، أوردها السيد رالستن (ص ص 170 - 175). كما تتشابه العديد من الظروف في هذه الحكاية مع أحداث في الحكاية الروسية «ايفان بوبيالوف» (رالستن، ص 66)، لكن على الرغم من هذه التشابهات، إلا أن في الواقع تتمايز هذه الحكايات عنها.

Twitter: @ketab_n

الصقيع والشمس والريح

في يوم من الأيام كان ثمة رجل يتمشى وحده، فالتقى في الطريق، الشمس والصقيع والريح، وألقى عليهم التحية وقال: «ببركة الرب!». فعلى مَنْ منهم ألقى التحية؟

قالت الشمس: «لقد ألقى التحية عليَّ، لأنني لم أحرقه».

وقال الصقيع «ألقى التحية عليَّ وليس عليك، لأنه لا يخاف منك مثلما يخافني». وقالت الريح أخيراً «يا لكما من واهميْن! لم يلق ذلك الرجل التحية عليكما، بل عليَّ».

وأخذوا يتنازعون في ما بينهم ويتعاركون، حتى سحب كل منهم من على ظهر الآخر عباءته. وقال الريح: «حسن، ما دام الأمر كذلك، دعونا نسأله على مَنْ ألقى التحية، عليَّ أو عليكم؟».

وتقدموا من الرجل وسألوه، فقال لهم: «على الريح».

Twitter: @ketab_n

فقال الريح لهم: «أ لم أقل إنه ألقى التحية عليّ؟».

فانبرت الشمس: «صه! سأجعلك في فرن، أيها النذل! وستتذكرني».

عندها قالت الريح: «لا تخشى شيئاً، لن تشويك، سأعصف وأبرّدك».

فقال الصقيع: «إذن سأجمّدك، أيها الوغد!».

فقال الريح: «لا تخف، يا صديقي المسكين! عندها لن أهب، ولن يستطيع فعل شيء لك، فلن يتمكن من تجميدك من دون ريح».

Twitter: @ketab_n

حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة

في إحدى الإمبراطوريات وفي مقاطعة ما، في المحيط الواسع، على جزيرة بوجان Bujan، كانت تقف شجرة سنديان، وتحت الشجرة كان يشوى ثور، وعلى جانبه وضعت سكين حادة، وفجأة مُسكت السكين. كن طيباً كي آكلك! هذه ليست حكاية (kazka)[1]، بل إنها مجرد مقدمة لحكاية (prikazka): فأي أحد يستمع إلى حكايتي، لربما يحصل على رداء من فراء السمّور، ورداء من جلد الفرس، وفتاة غاية في الحُسن، وحوالي مئة روبل لزفافه، وخمسين لحفل العرس!

كان هناك زوج وزوجة. ذهبت الزوجة في أحد الأيام لتسقي، ومعها دلو، وبعد أن سحبت الماء، عادت إلى البيت، وفجأة رأت حبة بازلاء تتدحرج سائرة معها. ففكرت في نفسها «هذه هدية من الرب». فرفعتها وأكلتها، ومع مضي الأيام، وضعت الزوجة صبياً، ولم يكبر في سنوات، بل في ساعات، مثل عجينة دخن عندما تتخمر. وأرضعوه ورعوه بنحو لم يكن في

(1) حكاية شعبية روسية (م).

Twitter: @ketab_n

وسعهم فعل أفضل منه، ووضعوه في مدرسة. وما كان الآخرون يتعلمونه في ثلاث سنوات أو أربع، كان هو يفهمه بسنة واحدة، و لم تكن الكتب تكفيه. وجاء في أحد الأيام إلى أبيه وأمه «الآن، يا أبي وأمي، اشكروا معلميّ، على تعليمهم لي. والحمد لله، أنا الآن اعرف أكثر منهم».

قال هذا الكلام ومضى إلى الشارع ليتسلى، فوجد دبوساً، فحمله إلى والده ووالدته. وقال لأبيه «إليك قطعة الحديد هذه، خذها إلى حداد، واجعله يصنع لي صولجاناً يزن سبع بودات[1]». لم ينبس أباه بكلمة، لكنه قال في نفسه: «الرب أعطاني ابناً مختلفاً عن بقية الناس، وأظن أن فهمه متواضع، وهو الآن يسخر مني. فكيف ممكن صناعة صولجان يزن سبع بودات من دبوس؟».

وكان والده يملك ثروة كبيرة، ذهباً، وفضة، وورقاً، فمضى إلى المدينة، واشترى سبعة بودات من الحديد، وأعطاها إلى حداد ليصنع منها صولجاناً. وصنع الحداد صولجانا يزن سبعة بودات، فحمله الأب وراح إلى البيت. نزل حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة من العليّة، وتناول صولجانه الذي يزن سبعة بودات، فسمع عاصفة في السماء، ورمى الصولجان إلى الغيوم. وعاد إلى

(1) بود **пуд** وحدة حجوم روسية تساوي 40 فنتا **фунт** (باوند روسي). وتساوي حوالي 16.38 كيلوغراما (36.11 باوند). وكان يستخدم في روسيا، وبيلاروسيا، وأوكرانيا. والغي هذا المقياس في الاتحاد السوفييتي في العام 1924 (م).

Twitter: @ketab_n

العليّة «يا أمي، انظري إلى رأسي قبل أن يجرحني شيء مقيت، لأنني صبي صغير».

فنهض من زاوية أمه، ومضى إلى الباحة ونظر إلى الغيوم. وسقط أرضاً على أذنه اليمنى على الأرض، وبينما ينهض نادى والده: «تعال يا أبي إلى هنا وانظر ما الذي يئز ويطن، فصولجاني قادم إلى الأرض».

ووضع ركبته في طريق الصولجان، وضربه الصولجان على ركبته فانكسر إلى شطرين. فغضب من أبيه: «حسن، يا أبي، لماذا لم تصنع لي صولجاناً من الحديد الذي أعطيتك إياه؟ فلو كنت فعلت ذلك، لما انكسر، ولاعوجّ فحسب. إليك الحديد نفسه، اذهب واصنعه، ولا تضف عليه أي شيء منك».

وضع الحداد الحديد في النار وبدأ بضربه بمطرقة وسحبه، وصنع منه صولجاناً يزن سبعة بودات.

أخذ حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة صولجانه ذي البودات السبعة واستعد للذهاب في رحلة، رحلة طويلة، وسار وسار، والتقاه التل المقلوب. فقال له: «أحييك يا أخي حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة! إلى أين أنت ماض؟ إلى أين تسافر؟ فسأله حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة: «ومن أنت؟»، فأجابه: «أنا التل المقلوب البطل الجبار».

Twitter: @ketab_n

فقال حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة :«أتود أن تكون رفيقي؟».

فرد عليه: «يمكن أن أكون في خدمتك».

ومضيا معاً في رحلتهما. سارا وسارا، والتقتهما شجرة السنديان، البطل المقلوب الجبار. فقال لهما «حياكما الرب أيها الإخوة! ومنحكما الصحة والعافية! من أي جنس أنتما؟».

فأجاباه: «نحن حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة، والتل المقلوب».

فسألهما: «والى أين أنتما سائران؟».

«إلى مدينة ما، فيها تنين يفترس الناس، لذا فنحن ماضيان لضربه بقوة».

فسألهما: «أليس ممكنا لي الانضمام إليكما؟»

فأجابه حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة: «بلى، بإمكانك الانضمام إلينا».

ومضوا إلى المدينة، وقدموا أنفسهم إلى إمبراطورها. فسألهم: «من أي جنس من البشر أنتم؟».

Twitter: @ketab_n

فأجابوه: «نحن الأبطال الأقوياء!».

فقال لهم: «أليس بمستطاعكم تخليص هذه المدينة؟ فثمة تنين ضار يقضي على كثير من الناس. وينبغي القضاء عليه».

فقالوا له: «ولماذا ندعو أنفسنا بالإبطال الأقوياء، إذا لا نقدر على القضاء عليه؟».

ومضى نصف الليل، وذهبوا إلى جسر غابة الغلدر القائم على نهر من نار. و... لووو! جاء تنين له ستة رؤوس، ووقف على الجسر، وفي الحال، صهل حصانه، وصاح صقره، وعوى كلبه. فضرب حصانه على رأسه: «لا تصهل، يا جيفة الشيطان[1]، لا تصح أيها الصقر! وأنت أيها الكلب، لا تعو! فحبة البازلاء الصغيرة المتحرجة موجود هنا الآن»، ثم قال: «تقدم يا حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة! هل نتحارب أم نجرب قوتنا؟».

فرد حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة: «ليس من أجل أن يجربوا قوتهم يسافر هؤلاء الشبان الطيبون، إنما من أجل القتال هم قادمون».

وابتدأوا بالقتال. فضرب حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة

(1) عبارة شتيمة (م).

Twitter: @ketab_n

ورفاقه التنين ثلاث ضربات في وقت واحد على ثلاثة من رؤوسه. ولمّا رأى التنين أن الهلاك مصيره، قال: «حسن، أيها الإخوة، حبة البازلاء الصغير المتدحرجة هو من يقلقني. سأسوي الأمور معكما أنتما الاثنان».

وشرعوا يتقاتلون، فحطموا رؤوس التنين المتبقية، وأخذوا حصان التنين إلى الإصطبل، وصقره إلى الأقفاص، وكلبه إلى وجار الكلاب، وعمد حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة إلى قطع ألسنة التنين من رؤوسه الستة، وأخذها ووضعها في حقيبة ظهره، ورموا بجثة التنين المقطعة الرؤوس في نهر النار. وجاءوا إلى الإمبراطور، وجلبوا له الألسنة كدليل على ما صنعوه. فشكرهم الإمبراطور. وقال لهم: «أرى أنكم أبطال أشداء أنقذتم المدينة والناس كلهم. فإذا كنتم ترغبون في تناول الشراب والطعام، فتناولوا ما شئتم ولا تدفعوا مالاً». ومن شدة الفرح، أعلن الإمبراطور في المدينة كلها أن كل محال الطعام والخانات والمنازل العامة الصغيرة، يجب أن تفتح أبوابها للأبطال الأقوياء. وهكذا، راحوا يذهبون إلى هذا المكان وذاك، يشربون ويمرحون ويتسلون ويلقون من التقدير أجلّه.

وحل الليل، وفي منتصفه بالضبط مضوا إلى تحت جسر غابة

Twitter: @ketab_n

زهور الغلدر على نهر النار، فجاء بسرعة تنين برؤوس سبعة. وفي الحال صهل حصانه، وصاح صقره، وعوى كلبه. فضرب التنين حصانه على رأسه «لا تصهل، يا جيفة الشيطان! وأنت لا تصح يا صقر، ولا تعو أيها الكلب! لأن حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة هنا الآن».

وأردف: «تقدم يا حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة! هل نتقاتل أم نجرب قوتنا؟».

فرد عليه حبة البازلاء: «لا يسافر هؤلاء الشباب الطيبون من أجل أن يجربوا قوتهم، بل ليقاتلوا».

وأخذوا يتقاتلون، وحطم الأبطال ستة من رؤوس التنين، وبقي السابع. فقال التنين: «أعطوني فرصة لألتقط أنفاسي!».

لكن حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة قال له: «لا تتوقع مني إعطاءك فسحة لتلتقط أنفاسك».

واستأنفوا القتال. فقطع حبة البازلاء الرأس الأخير أيضاً، وراح يقطع ألسنة التنين، ووضعها في حقيبة ظهره، ورموا الجثة في نهر النار. وجاءوا إلى الإمبراطور، حاملين معهم الألسن دليلاً على ما صنعوه.

Twitter: @ketab_n

وفي المرة الثالثة، ذهبوا في منتصف الليل إلى جسر غابة زهور الغلدر على نهر النار، فظهر في الحال أمامهم تنين بتسعة رؤوس. وراح حصانه يصهل، وصقره يصيح، وكلبه يعوي. فضرب التنين الحصان على رأسه: «لا تصهل، يا جيفة الشيطان! يا صقر لا تصح! وأنت يا كلب لا تعو! لأن حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة هنا. والآن تقدم يا حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة! هل سنتقاتل أم نجرب قوتنا؟».

فرد عليه حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة: «ليس من أجل اختبار قوتهم يسافر هؤلاء الشباب الطيبون، بل كي يقاتلوا».

وأخذوا يتقاتلون، فقطع الأبطال ثمانية رؤوس، وبقي التاسع. فقال حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة: «أعطنا لحظة نلتقط فيها أنفاسنا، أيها القوة النجسة!».

فرد عليه التنين: «سواء التقطتم أنفاسكم أم لا، لن تتغلبوا عليّ، لقد قتلتم أخويّ بالمكر، وليس بالقوة».

إذ لم يكن حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة يقاتل حسب، بل كان يفكر كيف يخدع التنين. وفي الحال فكر بخطة، وقال له: «نعم، بقي الكثير من إخوتك وراءك ـ وسأخذكم جميعاً».

Twitter: @ketab_n

وبسرعة التفت التنين وراءه، فانقض على رأسه التاسع وقطعه أيضاً، وقطع ألسنته ووضعها في حقيبة طهره، ورمى الجثة في نهر النار. ومضوا إلى الإمبراطور الذي قال لهم: «أشكركم، أيها الأبطال الأقوياء! ليطل الرب أعماركم، ويمنحكم الفرح والشجاعة، خذوا ما تريدون من الذهب والفضة والأموال الورقية».

بعد هذا، اجتمعت زوجات التنانين الثلاثة مع بعضهن وتشاورن في ما يصنعن. ورحن يتساءلن: «من أين جاء هؤلاء البشر الذين قتلوا أزواجنا؟ سنكون جبانات إذا لم نزهق أرواحهم».

فقالت أصغرهن: «الآن يا أخواتي! لنذهب إلى الطريق العام، حيث سيمرون. وأنا من جانبي سأحول نفسي كرسياً جميلاً جداً على قارعة الطريق، فإذا تعبوا وجلسوا عليه، فستحين ساعتهم كلهم».

فقالت الثانية لها «إن لم تفعلي لهم شيئاً، سأحول نفسي إلى شجرة تفاح إلى جانب الطريق العام، وعندما يقتربون مني، ستجتذبهم الرائحة الطيبة، فإذا تذوقوا التفاح، سيقضى عليهم جميعاً».

Twitter: @ketab_n

وهكذا، جاء الأبطال إلى المقعد الجميل على قارعة الطريق. فغرز حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة سيفه فيه حتى النهاية فتدفق الدم! ومضوا إلى شجرة التفاح. فقال البطلان الآخران: «يا أخينا حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة، دعنا نأكل تفاحاً».

لكنه قال: «لو كان ذلك ممكناً، دعونا نأكل، وإن لم يكن ممكناً، دعونا نمضي قدماً في طريقنا. واستل سيفه وغرزه في شجرة التفاح حتى النهاية فتدفق الدم منها في الحال. وهرعت أنثى التنين الثالثة وراءهم، وفتحت فكيها من الأرض إلى السماء؟ ونظر في ما حوله وفهم أنها تستهدفه هو بالذات، فألقى الخيول الثلاثة في فمها. وطارت أنثى التنين إلى البحر الأزرق كي تشرب ماء، ومضوا هم في طريقهم.

وتبعتهم مرة أخرى، ورأى أنها قريبة، فألقى الصقور الثلاثة في فمها. ومرة أخرى طارت أنثى التنين إلى البحر الأزرق كي تشرب ماء، ومضوا هم في طريقهم. ونظر حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة في ما حوله، وكانت أنثى التنين تلاحقهم مرة أخرى، وبدا له خطرها، فأخذ الكلاب الثلاثة ورماها في فمها. وطارت ثانية إلى البحر الأزرق لتشرب ماء، وبينما تشرب حتى ترتوي، ساروا هم في طريقهم. ونظر حوله

Twitter: @ketab_n

ورأى أنها تترصدهم مرة أخرى. فأخذ حبة البازلاء الصغيرة المتدحرجة رفيقيه ورماهما في فمها. وطارت أنثى التنين إلى البحر الأزرق لتشرب ماء، ومضى حبة البازلاء بطريقه. ومرة أخرى لحقت به، ونظر حوله، ورأى أنها ليست بعيدة عنه، فقال: «يا ربي، احمني وأنقذني!»، فوجد أمامه ورشة حديد، فهرب إلى دكان الحداد. فقال له الحداد: «لِمَ أنت جبان هكذا أيها الغريب؟».

فقال له: «أيها السيد الكريم! احمني من قوة نجسة، وأنقذ حياتي!». فعمدا إلى غلق دكان الحداد تماماً. فقالت أنثى التنين للحداد: «اترك لي ما هو لي!». فرد عليها الحداد: «العقي باب الحديد بطوله، وسنضعه على لسانك».

فلعقت باب الحديد، ووضعت لسانها في المنتصف. فأمسك الحدادون ثلاثتهم بلسانها بكماشة حمراء من شدة الحرارة، وقالوا: «تعال أيها الغريب وافعل بها ما تريد!». فخرج إلى الباحة، وشرع يضرب أنثى التنين ضرباً مبرحاً متواصلاً وسحق جلدها ووصل إلى عظامها، وسحق عظامها ووصل إلى النخاع، وأخذها جثة هامدة وحرق أعماقها السبعة. ومن ثم، وليس قبلاً، عاش يأكل الطعام الشهي، لكننا أكلنا خبزاً، لأنه

Twitter: @ketab_n

لم يكن يملك شيئاً. وكنت أنا هناك أتناول شراب العسل، وكان يتدفق على خبزي، لكنه لم يصل إلى فمي.

Twitter: @ketab_n

الولدان العجيبان

كان هناك أب له ثلاث بنات، ذهبن إلى النهر لغسل ملابس الكتان. وحدث أن مر ابن الملك ممتطياً فرسه. فقالت الأولى: «حسن، لو تزوج بي ابن الملك، لحكت طوقاً حول القصر كله بصنارة واحدة. أما الثانية فقالت: «لو تزوج بي ابن الملك، لأطعمت القصر كله برغيف خبز واحد». بينما قالت الثالثة: «إذا تزوج بي ابن الملك، لأنجبت له ولدين، في جبين كل منهما قمر وعلى قفاه نجمة». فتوجه الملك إلى تلك التي قالت: «سأنجب له ولدين؛» وتزوج منها، ومرت عليهما سنة، وسنتين، وكانوا ينتظرون ولادتها. فجاء الملك إلى أمه وأمرها أن «ما شاء الرب أن يعطي زوجتي، دعيها تعتني به». ومضى الملك في رحلة ابتعد فيها عشرين ميلاً، ورزق الرب زوجته أطفالاً، إذ وضعت ولدين في جبين كل واحد منها قمر ونجمة على قفاه. فكتبت له زوجته رسالة قالت فيها إن الرب رزقهم بولدين، في جبين كل واحد منهما قمر ونجمة على قفاه. وحمل أحد الخدم الرسالة

Twitter: @ketab_n

إليه، وحدث أن توقف ليمضي الليل في منزل أخت الملكة، من دون أن يعلم أنها أختها. وعندما استلقى على السرير، أخذت الرسالة وفتحتها، ومحت ما كان مكتوبا فيها إن «في جبين كل واحد منهما قمر ونجمة على قفاه .. وكتبت بدلاً عن ذلك إن المولود لا هو بثعبان ولا بسحلية ـ فلا أحد يعرف ما أنجبت. ومضى الرجل في طريقه إلى الملك وسلمه الرسالة. فقرأها الملك وكتب جواباً لأمه أن «لا تدعيها تفضي على ما أعطاها الرب من دون أمر مني بذلك». ورجع الخادم، وتوقف ثانية عند المكان نفسه ليمضي الليل، ومرة أخرى أخذت أخت الملكة الرسالة وفتحتها، ثم محت ما كان الملك قد كتبه، وكتبت بدلاً منه إن عليها أن تدفن ابنيها قبل عودته. وعندما وصل الخادم، قرأت زوجة الملك الرسالة، وراحت تبكي، وأكلها الحزن على دفن ولديها الحلويْن. وامتثالاً للأوامر، حفرت لهما قبريْن في الباحة ودفنتهما، ونمت فوقهما شجيرتا قيقب[1]، فكانت ساق إحداهما من ذهب، وساق الأخرى من فضة. وعاد الملك إلى دياره فطردها لأنها دفنتهما من دون أمر منه.

ومضى الملك وتزوج من أخت زوجته الثانية. وعاشا معاً، وبعد مدة قالت له: «يا زوجي المهيب! دعنا نقطع شجرتي

(1) شجرة أو شجيرة أوراقها ذات فصوص، يصنع منها شراب (م).

Twitter: @ketab_n

القيقب هاتين ونصنع لأنفسنا منهما سريراً، آه يا زوجي المهيب! دعنا نقطع ذلك السرير ونحرقه وننثر رماده على الطريق». وحدث أن راعياً كان مارا بأغنامه على الطريق، فضلت إحدى نعاجه طريقها، وراحت تلتهم بعضاً من الرماد، فولدت حملين ذكرين في جبين كل واحد منها قمر، وفوق رقبته نجمة. فلم يعجب زوجة الملك هذين الحملين، فأمرت بذبحهما، ورمت بأحشائهما على الدرب. فجاءت الزوجة الأولى وأخذت الأحشاء، وطبختها وأكلتها، وبعد ذلك حملت بولدين، قمر في جبين كل منهما ونجمة على قفاه. وكبر الولدان وكبرا، و لم يكونا يخلعان قبعاتهما البتة. وحدث أن رغب الملك بأن يأتيه شخص ليقص عليه قصصاً. فقال له الناس إن هناك أخوين بإمكانهما أن يرويا له القصص. فجاءاه لهذا الغرض.

شرعا يرويان له حكاية:

«كان هناك ملك لديه ملكة، وأنجبت له الملكة ولدين، على رأس كل منهما قمر ونجمة على قفاه. وذات مرة، توجه الملك للصيد، فكتبت له الملكة رسالة وبعثت بها إليه. فأمضى الرسول الليل في دار أختها، فعمدت، الأخت إلى الرسالة وفتحتها، وكتبت أن المولود ما هو بثعبان ولا سحلية - وما من

Twitter: @ketab_n

أحد يعرف الذي وضعته الملكة. قرأ الملك الرسالة وردّ أن عليها رعاية ما وضعت، سواء كان ثعباناً أم سحلية. وعاد الرجل إلى دياره، ومرة أخرى توقف ليرتاح في البيت الذي كان قد قضى فيه تلك الليلة. وفتحت أخت الملكة الرسالة وكتبت أن عليها دفنه «قبل وصولي». فحفرت قبرين ودفنتهما، فنبتت عليهما شجرتا قيقب، ساق واحدة من ذهب وساق الأخرى من فضة. فاحتالت الملكة الجديدة من اجل أن يقطعونهما ويصنعان منهما سريراً، وناما عليه، لكن السرير صار غير مريح: فأمرت أن يقطع السرير ويحرق، ويلقى رماده في الطريق. ومر راع يسوق أغنامه، فالتهمت إحدى نعاجه بعض الرماد، وولدت حملين ذكرين على رأس كل منهما قمر وفوق رقبته نجمة. وهنا أمرت الملكة بذبح الحملين، ورمي أحشائهما في الطريق. فجاءت أختها المطلقة ولملمت الأحشاء، وأخذتها إلى المنزل، وطبختها واكلتها، فأنجبت ولدين، في جبين كل منهما قمر ونجمة على قفاه».

وهنا انحنى الولدان وخلعا قبعتيهما، فامتلأت الغرفة ضياءً. فوضعت الزوجة الثانية على محراث من حديد، وقطعت أشلاء، وردّ الملك زوجته الأولى، وعاشوا حياة سعيدة.

Twitter: @ketab_n

الرب وحده يعرف كيف يعاقب الإنسان

كان هناك مالك فاحش الثراء، عنده أطيان كثيرة، ولديه من كل شيء. وفي إحدى المرات كان عنده ضيوف بمنزله، فقال لهم: «إن احترقت أطياني وانهارت، لعرفت متى أعيد بنائها وكيف»، فحدث ما قال. وبينما هو يتحدث هكذا مع ضيوفه، خرج شخص منهم إلى فناء الدار، ثم رجع مسرعاً يقول: «بيتك يحترق!» لكن المالك قال: «لا مشكلة، أتمنى أن يكون هذا صحيحاً! ولم يسع هو لإطفاء الحريق، ولم يسمح للآخرين أن يقوموا بذلك، فآل كل شيء إلى رماد، ولم تخلف النار شيئاً سوى الأرض. ومع ذلك، لم ينزعج البتة، وذهب ليقيم على مقربة من الماء، وجعل أمواله في شجرة صفصاف، فكان فعله هذا وبالاً عليه. إذ تساقط على حين غرة مطر غزير، وقبل أن يتمكن من تدارك أمره، أسقط المطر شجرة الصفصاف وحملها بعيداً. فافتقر حدّ أنه صار يعمل في خدمة آخرين. واضطر للعمل بإيصال الرسائل لكبار المدينة.

وحدث أن كان يحمل رسالة، فأدركه الليل وهو في الطريق،

Twitter: @ketab_n

فماذا عليه أن يفعل الآن؟ فالتمس أن يقضي الليل في منزل رجل معين، وكان هذا الرجل غنياً كريم الخلق، فقال له: «لك أن تقضي الليلة عندي». وفي غضون ذلك، جهزت ربة البيت العشاء، وبعد العشاء شكروا الرب، لكن قبل أن يذهبا لينام، راحا يتحدثان معاً عن هذا الأمر وذاك من أمورهما. فابتدأ المسافر يروي كيف كان ثرياً، وكيف احترقت أملاكه، وكيف افتقر. وقال: «وبقي لدي بعض المال، فجعلتها في شجرة صفصاف، لكن سيلاً اسقط الشجرة وحمل مالي مع الماء! فلم يبق لدي شيء، وصرت الآن أجهد نفسي لألتمس رغيف خبز».

وما كاد مضيفه يسمع منه هذا حتى نظر إلى زوجته، لأن شجرة الصفصاف كانت قد عامت ووصلت حافة حظيرتهم، وعندما كانوا يقطعونها، راح المال يتساقط منها. فذهب الرجل وزوجته إلى إحدى الغرف وراحا يتشاوران في كيفية إعادة المال لصاحبه من دون أن يعرف من أين جاء. وراحا يتشاوران حتى قال المضيف لزوجته: «طيب، ماذا نفعل الآن؟ دعينا نحفر رغيفاً من الأسفل، ونخرج اللب، ونضع المال في الرغيف، ثم نغطيه باللب، وعندما يريد المغادرة نعطيه الرغيف على أساس أنه مؤونة لسفره. وفعلا ما اتفقا عليه. وفي اليوم التالي، عندما أراد مواصلة طريقه. أعطياه رغيف الخبز، وقالا «خذ هذا لك، ربما يفيدك في الطريق».

Twitter: @ketab_n

فأخذه وانحنى لهما امتناناً، ومضى في طريقه. فقابل على الطريق بعض تجار الماشية وكانوا يشترون خنازير، الذين زاروه في السابق أكثر من مرة، فسألوه «لعلك تعرفنا؟». فأجابهم قائلاً: «كان ذلك في السابق في بيتي، أصابتني بلية، احترق بيتي، وأنا الآن اعمل في خدمة آخرين».

وبعدما قال هذا الكلام فتح حقيبته وقال: «تعالوا! واشتروا بعض الخنزير!»، وأخرج الخنزير وأضاف «على أي حال لست جائعاً، ويثقل عليَّ حمله، ولعل بعض المال سيكون أكثر نفعاً لي برحلتي». فساوموه واتفقوا. وأخذ التجار الخنزير، وأخذ هو المال، وغادروا.

وجاء التجار إلى القرية نفسها، وتوجهوا إلى بيت الرجل نفسه صاحب الخنزير، وراحوا يسألونه عن شؤون عمله، فقال لهم: «هذا ليس مني، بل بفضل الرب! اجلسوا وارتاحوا». وقدم لهم وجبة خفيفة. وطلبوا إليه ألاّ يكلّف نفسه. وقالوا: «في الطريق اشترينا رغيفاً من أفضل الأرغفة من رجل كان يحمل رسالة».

فارتبك المضيف وزوجته، وانتابهم الشك، لكن التجار أخرجوا الخنزير في الحال ووضعوه على المائدة، فكان هو الرغيف نفسه، الذي أعطوه للمسافر. نظر المالك إلى زوجته، وقال لضيوفه: «قبل أن نعمل أي شيء، دعونا نذهب للخارج وننظر ربما نتفق على صفقة».

Twitter: @ketab_n

فقالوا «هيا لنذهب».

وخرجوا، وغمز بعينه لزوجته، وعرفت في الحال ما يريد. فعندما ذهخرجوابوا ليتساوموا في صفقتهم، جلبت ربة البيت رغيف خبز آخر ووضعته مثل الآخر في المكان نفسه على المائدة. ورجعوا لتناول الفطور، ولا يهم إذا اتفقوا على الصفقة أم لا، ومضوا.

بعد وقت قصير أتى الرجل ثانية ومعه رسالة، ومر ثانية بالبيت نفسه، لمعرفته المسبقة به، ليمضي عندهم الليلة، فاستقبلوه مسرورين، لظنهم أنهم ربما سينجحون هذه المرة في إعادة المال له بطريقة أو أخرى. وانتظروا، وانقضى الليل، وعندما خرج من البيت، لفّوا المال بقطعة قماش، ووضعوه في زوادته، وقدموا له الإفطار، وودعوه. ومضى في سبيله، وبينما يمرّ في طريق في بستان، قال في نفسه: «آه! أي تفاح جميل هنا! سأقطف لي قليلاً منه لرحلتي».

وأنزل زوادته عن ظهره وعلقها على شجرة، كي لا تضايقه، وراح يحاول قطف تفاحات. عندها جاء مضيفه، المالك نفسه. فراه صاحبنا وفر مسرعاً تاركاً زوادته معلقة على الشجرة. فلمح المالك الزوادة معلقة على غصن، وراح يفكر، وبعد حين قال: «لقد خاف هذا المسكين ونسي زوادته».

Twitter: @ketab_n

فأنزل الزوادة وقال: «إن طريقه يمر بالجسر، فقد ركض عبر الأجمة كي لا يراني. سأضع له زوادته على الجسر، ومن المؤكد أنه سيأخذها».

وفعل ما فكر فيه. إذ ركض من جانب الطريق، ووضع المال على الجسر، وصار خلف أجمة ليست بعيدة، كي يتمكن من مراقبة الأمر ويرى ما يحدث.

فجأة، جاء المسافر إلى الجسر، ونظر إلى الأسفل، وبعدئذ قال: «من الجيد أن ألقي نظرة، في كل الأحوال، وأمضي في طريقي وأحصل على بعض المال لأشتري خبزاً. فماذا سأفعل لو كنت أعمى؟ كيف سأمر على الجسر؟ هيا، سأرى ما إذا نجحت بذلك».

فأغمض عينيه، وراح يتحسس بعصاه، تاب، تاب، تاب، على الجسر، ومشى باستقامة، وداس على المال، ومضى في طريقه. وبعد أن أفاق المالك من ذهوله مما يرى، قال بصوت مسموع: «لقد أغضب هذا الرجل الرب!».

Twitter: @ketab_n

حكايات روسية قصيرة

Twitter: @ketab_n

(من غالاسيا)

لا يبدو أن السيد رالستن اطلع مباشرة على هذه الحكايات، فلم يذكر البتة أيّاً منها، بأي حال من الأحوال، سواء في كتابه عن الحكايات الشعبية الروسية أو في كتابه عن الأغاني الروسية. لذا أرى من الضروري جداً إتمام عمله الرائع بإلحاق الحكايات الغاليسية كلها الواردة في مجموعة إيربن.

يشكل الروس الصغار، أو الروثينيون، السواد الأعظم من سكان إقليم غاليسيا Galicia النمساوي، إمارة هاليكتش Halicz سابقاً، التي كان يشار إليها أيضاً بـ«روسيا الحمراء». وعاصمتها لمبيرغ Lemberg (المختصرة من لوينبيرغ Lowenberg)، أو لفوف Lvov. ومنهم من يسكن أيضاً في المناطق المحاذية لشمال هنغاريا، وفي بوكوفينا Bukovina.

أظن أن المجموعة الحالية هي أول تقديم لأدب الروس النمساويين يوضع لعناية القارئ البريطاني.

يُعدّ النبي اليجاه[1] (إيليا) شخصية جُدّ مهمة ومؤثرة للغاية

(1) هو النبي إلياس عليه السلام، وهو في العبرانية إلياهو. ذُكر في تلمود اليهود، وإنجيل المسيحيين، وقرآن المسلمين (م).

Twitter: @ketab_n

في الفلكلور الروسي، وتبعاً لذلك نجده في حكاية «الخير والشرّ» يتبوأ مقاماً عالياً في التراتبية السماوية، حتى قبل خلق الإنسان! ويبدو أنه أخذ مكان بيرون Perun[1]، إله الرعد، لدى السلافيين الوثنيين.

ولابد لي أيضاً من أن الفت الانتباه إلى غباء «الشياطين» المفرط في الفلكلور السلافي. فهؤلاء يبقون أدنى ذكاء من نظرائهم التيوتونيين، ويظهر أن لا صلة لهم تذكر بـ«العدو اللدود Arch Enemy»، بل إنهم بالأحرى، وكما يقول السيد رالستن، «أصدقاء مغفلون في الميثولوجيا الوثنية، كائنات موهوبة بقوى فوق طبيعية، فيما مُنِحَت الشيء القليل من القوى العقلية». و«حكاية الشيطان والغجري» تعطي مثالاً عن مستوى ذكائهم.

(1) في الميثولوجيا السلافية، بيرون هو أكبر إله في هيكل الآلهة pantheon، وهو إله الرعد والبرق. ومن أشكاله الأخرى النار، والجبال، وشجرة السنديان، وزهرة السوسن، والنسر، وقبة السماء، والخيول، وعربات الكارة، والأسلحة (المطرقة، والفأس، والسهم)، والحرب. يوصف بأنه رجل عظيم الخلقة لحيته من نحاس (م).

Twitter: @ketab_n

الأبناء الطيبون

غضب الرب على البشرية، فضرب العالم أجمع بمجاعة شديدة لثلاث سنوات متواصلة، فلم تنبت في هذا العالم ولو حبة ذرة واحدة، وما زرعه الناس لم يخرجهم من قحط ساحق، فعلى مدى ثلاث سنوات لم تنزل قطرة مطر، أو حتى ندى، واحدة. ففي السنة الأولى، تمكن الناس من العيش بطريقة أو أخرى، من خلال درس الذرة القديمة، وزاد الغني غنى بسبب ارتفاع سعر الذرة بنحو جدّ كبير. وحل الخريف. وأولئك الذين كان لديهم بذور قديمة أو أنهم اشتروا منها، فراحوا يزرعونها، متضرعين إلى الرب ومتوسلين رحمته، لعله يحيي الأرض «إن شاء وغفر ذنوبنا». إلا إن الحال لم يتغير. إذ أن الرب لم يغفر لهم. فكانوا عندما يلقون البذور على الأرض المقدسة، فهذه تكون آخر مرة يرون فيها بذوراً، وإذا حدث ونبتت بنحو ما، وإذا بالكاد نتأت، فإنها تذبل حال خروجها من الأرض! يا لشدة هذا الحال! يا لخسارة أهل هذه الدنيا، فهم في حزن وكحيب، وصار واضحاً

Twitter: @ketab_n

الآن أنهم يقتربون من الموت جوعاً. وحصلوا بنحو ما على بعض الأشياء البائسة خلال فصل الشتاء. وجاء الربيع. فإذا بقي لدى أحد ما شيء من الحبوب، بذرها. فماذا سيكون الحال؟ لم تنهمر البركة، وبدأ القحط بهبوب الرياح. زد على هذا، لم ينزل سوى قليل من الثلج في الشتاء، فجفّ كل شيء وبقيت الأرض سوداء كما كان حالها. والآن بلغ الحال هذا الحد ـ أخذ العالم يهلك! فقد مات أناس كثر، وهلكت الأنعام، وراح الناس يسيرون بالطريق التي يحملهم إليها الشقاء.

في ذلك الزمان، كان هناك إمبراطور قويّ يحكم إمبراطورية معينة، وبما أن الشاب يتقرب طبيعياً إلى الشاب، كذلك كان الملك يرافق الشباب فقط. فلم يكن غير الشباب سواء في مجلسه أم في بلاطه أو جيشه، ولا يحصل الشيوخ في مملكته على أي شيء في أي مكان. والحال هذه، فقد كان مستشاروه، بوصفهم شباباً، غير ناضجي الفهم، وكذلك كانت مشورتهم غير ناضجة. مر عام، وانقضى الثاني، وفي العام الثالث، رأوا أن البؤس عمّ كل مكان، وبلغ الوضع مبلغاً أن العالم كله بات على شفير الهلاك. فجمع الإمبراطور الشاب مجلسه، وراحوا يتشاورون، وتشاوروا وتشاورا، و... إيه! توصلوا إلى قرار مجرد ذكره يعد خطيئة! إذ

Twitter: @ketab_n

أعلن الإمبراطور، بناء على مشورتهم، أن كل طاعن في السن ينبغي أن يرمى في البحر كي لا يتبدد الخبز عبثاً، كما يزعم، وقد تكون هناك مؤن من الخبز للشباب، وأن الإعدام مصير كل من يغامر في إعالة أي مسن أو إخفائه. وانتشر المنادون في أرجاء البلاد كلها، يذيعون على الناس أمر الملك في كل حدب وصوب ـ ليس هذا فحسب، بل راح قطاع الطرق يمسكون بمسنين أينما يريدون، ويغرقونهم بلا رحمة.

ثم كان هناك في مكان ما في الإمبراطورية ثلاثة إخوة، يعيشون مع أبيهم الشيخ. فلما سمعوا بهذا المرسوم، ابلغوا أباهم، فقال لهم: «يا أبنائي، هذه إرادة الرب وإرادة الإمبراطور، خذوني واتركوني أهلك في الحال، فلربما أنتم وحدكم، يا أولادي، مَنْ يجب أن يعيش. ثم أن قدمي أصلاً في القبر». فصاح الأبناء الطيبون بصوت واحد: «كلا، يا أبانا! سنموت ولن نتخلى عنك»، وخروا على قدميه، «سنخفيك، وسنأخذ من أفواهنا ونطعمك».

قاد الإخوة الثلاثة أباهم الشيخ واصطحبوه إلى كوخهم، وحفروا تحت قسم من بلاط الأرضية المرتفع، وبنوا سريراً وفرشوا عليه ملاءات وأغطية، لأن القش كان نادراً، وجعلوا

Twitter: @ketab_n

الشيخ عليه، وجاءوا له برغيف خبز أسود بسواد الأرض المقدسة، وغلقوا عليه بلاط الأرضية. وأقام الشيخ هناك شهراً أو شهرين، وأبناؤه يأتون له سراً من كل ما يملكون. ومر الصيف بلا حصاد، بلا خزن. وانقضى سبتمبر أيضاً. وانتهى الخريف و لم يعرف بهجة. وانقضى الشتاء أيضاً. والآن جاء الربيع، وصارت الشمس لاهبة. وحان وقت البذار، لكن ليس هناك بذور. لم يكن العالم بأسره يملك حبة ذرة. إذ عندما كان الناس يستهلكون نوعاً واحداً، كانوا يبذرون الأنواع الأخرى، أملاً في الحصول على غلة، لكنهم عندما يلقون بذورهم على الأرض المقدسة، تتعفن فيها. كان الوضع يبدو وكأن نهاية العالم دنت.

بعدئذ مضى الإخوة الثلاثة إلى أبيهم، وسألوه: «يا أبانا، أرشدنا، ما نفعل؟ هذا وقت البذار، والآن منّ الرب علينا بوابل أمطار، والأرض تسخن وتتفتت مثل جريش، وما من بذرة مباركة». فأجابهم أبوهم: «يا أبنائي، امضوا وجردوا سطح البيت القديم، وادرسوا حُزَمه وابذروا التبن».

فذهب الأبناء وجردوا سقف البيت وحظيرة الماشية (فعلى أي حال لم يكن فيها شيء) وانهمكوا في درس حزم السقف حتى تصبب العرق من جبين كل واحد منهم، وسحنوا الحزم حتى

Twitter: @ketab_n

صارت بصغر بذور الخشخاش. ولما بذروا، بارك الرب بذارهم، حتى أن في بحر أسبوع غدت خضراء خضرة نبات السّذاب[1]، وفي شهر، وشهرين، كانت الذرة تظهر، بل أكثر من الذرة ـ فقد نبتت الأنواع كلها: فقد كان فيها جاوْدار، والقمح والشعير، بلى، لعلها احتوت نبتة أو اثنتين من الحنطة السمراء والدخن. على أنك أينما ذهبت في العالم لم تجد حبة ذرة واحدة، وكانت السهول تعج بالأعشاب، أعشاب السهوب، والأشواك، فكانت الذرة مقارنة بها مثل الحرج. وكم عجب الناس ودهشوا! وذاع صيتها في أصقاع العالم، ووصلت الأخبار إلى الملك نفسه في أن كذا في مكان كذا هناك ثلاثة إخوة، نبتت الذرة على أيديهم لكل الناس، رائعة جداً، لم يشاهد أحد مثلها البتة! فأمر الإمبراطور الإخوة الثلاثة بالقدوم إلى البلاط الإمبراطوري.

ما كاد الإخوة يسمعون بذلك حتى ضربوا رؤوسهم بأيديهم. وقالوا: «الآن قضي علينا! ويقولون بعدنا آمين!». وتوجهوا إلى أبيهم، قائلين له: «يا أبانا! أبلغونا بالمثول بين يدي الإمبراطور. أشر علينا، يا أبانا، ماذا نصنع!».

(1) السذّاب: نبتة طيبة ذات أوراق مرة (م).

Twitter: @ketab_n

فرد الأب: «اذهبوا، يا أولادي فما سيكون سيكون، واذكروا للإمبراطور القصة بحقيقتها».

فشد الإخوة رحالهم، وساروا متوجهين إلى الإمبراطور. فاستعلم منهم الإمبراطور مهدداً: «لماذا، أيها الأوغاد، كنتم تدخرون الذرة، وقت مجاعة قضى فيها الكثير من الناس جوعاً؟ أخبروني الحقيقة، وان لم تفعلوا، سآمر بتعذيبكم على دولاب التعذيب حتى الموت».

فروى له الإخوة ما صار معهم من البداية حتى النهاية. بعدئذ قالوا: «والآن، أيها الإمبراطور الكريم، عذبنا بأي شيء تريد، أو اشملنا بشفقتك!».

فأرخى الإمبراطور حاجبيه المفطّبين، وهدأت عيناه. ثم أمر أن يؤتى بوالدهم الشيخ في الحال، وأجلسه إلى جانبه قرب العرش، وراح يصغي إلى مشورته إلى الأبد، وأكرم أولاده كرماً سخياً. وأمر أن تجمع الذرة سنبلة سنبلة، وأن تفرك بالأيدي، وترسل من بذورها إلى الإمبراطوريات كلها، وخرجت منها ذرة مباركة لكل العالم.

Twitter: @ketab_n

الشيطان والغجري

في يوم من الأيام، ذهب غجري هرم ليعمل خادماً لشيطان، فقال له الشيطان: «سأعطيك ما تشتهي وتريد إذا جلبت لي الحطب والماء بانتظام، وأوقدت النار تحت الغلاية».

فقال الغجري: «جيدا!». فأعطاه الشيطان دلواً قائلاً له: «امضِ إلى البئر وآتني بماء».

مضى صاحبنا الغجري، وأنزل الدلو في البئر وأخذ ماء وحاول رفعه بكلاّب، لكن لأنه كان مسناً، لم يستطع رفعه وإخراجه، فاضطر أن يسكب الماء كي لا يسقط الدلو في البئر. لكن بماذا سيرجع إلى البيت الآن؟ حسن، عمد غجرينا إلى أخذ بعض الأوتاد من سياج، وراح يثبتها جيداً حول البئر، كما لو أنه يحفر بها. وانتظر الشيطان وانتظر، و لم يأت الغجري، بالطبع لم يأت بالماء. وبعد وقت ذهب ليبحث عن الغجري، ومن دون تفكير سأله: «لِمَ تأخرت هكذا؟ لماذا لم تجلب الماء طوال هذا الوقت؟».

Twitter: @ketab_n

فرد الغجري: «ماذا؟ أريد أن أُخرج البئر كله، وآتيك به!». فقال له الشيطان: «لكنك ستضيع الوقت إذا أنت نويت على شيء كهذا، وعندها لن تأتي بالدلو في الوقت المحدد، ولتأخرت عن جمع الحطب».

وسحب الماء وحمله بنفسه. وقال: «إيه! لو كنت أعرف ذلك قبلاً، لجئت به منذ وقت طويل».

وذات مرة أرسله الشيطان إلى الغابة ليجلب حطباً. وانطلق الغجري، لكن المطر هطل عليه في الغابة وبلله، فأصيب التابع الهرم بالبرد و لم يتمكن من الانحناء لجمع الحطب. فما كان عليه أن يفعل؟ حسن، راح يقشر اللحاء، وقشر عدة أكوام، وسار حول الغابة، وراح يربط شجرة بأخرى بأربطة قماش. وانتظر الشيطان وانتظر، وجن جنونه من انتظار الغجري. فمضى بنفسه إليه، وعندما شاهد ما يجري صاح به: «ماذا تفعل، أيها المتسكع؟».

فرد عليه الغجري: «ماذا أفعل؟» أريد أن أجلب لك الغابة. تراني أربط الغابة كلها بحزمة واحدة كي لا أقوم بعمل عقيم».

فرأى الشيطان أن وقته يسوء مع الغجري، فتناول الحطب، وسار إلى البيت.

Twitter: @ketab_n

وبعد أن سوّى أموره في البيت، توجه إلى شيطان موغل في العمر يطلب نصيحته: «لقد استأجرت غجرياً، لكنه جدّ مزعج، نحن بارعون حقاً، لكنه أقوى منا وأبرع، لذا سأقتله».

فقال له الشيطان الهرم: «جيد، عندما يضطجع وينام، اقتله كي لا يتمادى في جرنا من أنوفنا».

وجاء وقت الذهاب إلى البيت، وتمدد الاثنان ليناما، إلا إن الغجري لاحظ بوضوح أن هناك شيئاً ما، فوضع معطفه الفرو على السرير حيث ينام عادة، وانسلّ إلى زاوية تحت السرير. وعندما حان الوقت، ظن الشيطان أن الغجري يغط الآن في النوم، فتناول قضيب حديد، وانقض على معطف الفرو يضربه بشدة حتى أن الضجيج ملأ المكان. ثم تمدد لينام، وهو يقول لنفسه: «الآن قيل آمين على الغجري!». بيد إن الغجري شخر وقال: «أوه!» وتململ قليلا في الزاوية. فقال له الشيطان: «ما الذي يوجعك؟»، فرد عليه: «آه، لقد لسعني برغوث».

وذهب الشيطان ثانية إلى الشيطان الهرم ليطلب منه النصيحة: «كيف ينبغي قتله؟ عندما انهلت عليه ضرباً بالقضيب الحديدي، لم يتأثر وتململ وقال لقد لسعني برغوث».

Twitter: @ketab_n

فرد عليه: «إذن ادفع له الآن بقدر ما يريد، وأرسله إلى مكان ما في عمل».

فاختار الغجري حقيبة مليئة بالدراهم ومضى. إثر ذلك، أسف الشيطان على المال، واستشار الشيطان الآخر مرة أخرى. فقال له: «الحق بالغجري، وقل له إن أياً منكما يتمكن من ركل حجر أفضل من الآخر حتى يسمع الصوت على مبعدة ثلاثة أميال، سيكون المال من نصيبه. فلحق به الشيطان وصاح وراءه: «توقف، أيها الغجري! عندي شيء أقوله لك».

فرد عليه الغجري: «ماذا بعد، يا ابن العدو؟».

فقال له: «إيه، توقف، دعنا نركل، والذين تكون ركلته أقوى من الصخرة، يأخذ المال».

فرد الغجري: «الآن جئتني بهذا! هيا اركل».

ركل الشيطان صخرة مرة، ومرتين، حتى رن صوتها في أذنيهما، لكن في هذه الأثناء صب الغجري عليها بعض الماء، فقال له الشيطان: «هيه! تخدع مَنْ؟».

Twitter: @ketab_n

فقال له الغجري: «عندما أركل صخرة جافة، ينبجس الماء منها».

وقال الشيطان: «آآه! عندما يركلها، تتدفق! وتدفق الماء من الصخرة».

وذهب الشيطان مرة أخرى طالباً النصيحة، فقال الشيطان الهرم: «دع الذي يرمي قضيب حديد أعلى من الآخر هو يأخذ المال».

وكان الغجري قطع بضعة أميال من طريقه، فنظر حوله، فإذا بالشيطان يعدو خلفه: «توقف! انتظر، أيها الغجري!».

فرد عليه الغجري: «ما الذي تريده يا ابن العدو؟».

فأجابه الشيطان: «الذي يرمي قضيب الحديد أعلى من الآخر، يأخذ المال».

فقال له الغجري: «حسن، دعنا نرمي الآن. فلدي شقيقان هناك في الجنة، وكلاهما حداد، وسيناسبهما تماماً ليصنعا مطرقة أو كماشة».

Twitter: @ketab_n

فرمى الشيطان فأحدث القضيب أزيزاً في الهواء وكاد يختفي عن ناظريهما. ثم تناول الغجري قضيب الحديد من طرفه، وكان بالكاد يمسك به، وصاح: مدوا أيديكم يا إخوتي ـ هيه! لكن الشيطان أمسك به من يده: «ها، توقف! لا ترمها، فمن المؤسف أن تضيع».

فأشار عليه الشيطان الهرم أن «الحق به مرة أخرى، وقل له إن الذي يركض أسرع من الآخر ويصل إلى نقطة معينة، يأخذ المال».

فلحق الشيطان به، وقال الغجري: «أتدري؟ لن أتبارى معك مرة أخرى، لأنك لا تستحق ذلك، لكن لي ابن شاب، هو أرنب بري، عمره ثلاثة أيام فقط، لو لحقت به، ستقيس نفسك بي».

وكان الغجري لمح أرنباً برياً بين الأشجار: «ذاك هو! صغيري الأرنب البري! أيها الأرنب! الحق به!». وعندما أخذ الأرنب يتقافز هنا وهناك، خلّف وراءه خطّاً من الغبار. فقال الشيطان: «باه! أنه لا يركض بخط مستقيم». فرد عليه الغجري: «في عائلتي لا أحد يركض بنحو مستقيم قط. فواحدنا يركض كما يحلو له».

نصحه الشيطان الهرم بالمصارعة، والأقوى سيأخذ المال. فقال الغجري: «إيه! اسمع مني شروط المصارعة معك: لي والد تقدم به العمر حتى صرت في السنوات السبع الأخيرة احمل له

Twitter: @ketab_n

الطعام إلى كهف، فإذا صرعته، تعال وصارعني». لكن الغجري كان يعرف دباً، فقاد الشيطان إلى كهف الدب. فقال له: «اذهب وادخل الكهف، وأيقظه، وتصارع معه». فدخل الشيطان وقال: «انهض، يا صاحب اللحية الطويلة! ودعنا نتصارع».

ويا لبؤس الشيطان! فقد أخذ الدب يعانقه، وينبت مخالبه فيه، ثم يضربه، فأسقطه على أرض الكهف.

نصحه الشيطان الهرم بأن الذي يصفّر أفضل من الآخر حتى يسمع صفيره على مبعدة ثلاثة أميال، سيحصل على المال. فصفّر الشيطان حتى ضج وازّ. لكن الغجري قال: «أتعرف؟ عندما أصفر ستصاب بالعمى والطرش، شدّ عينيك وأذنيك».

ففعل الشيطان ما قال له. فأخذ الغجري ميتَدَة[1] لفلق جذوع الخشب، وضربه على أذنيه مرة ومرتين بعنف. فصاح الشيطان: «آخ! توقف! آخ! لا تصفّر، وإلا ستقتلني! وليصبك الحظ العاثر بمالك! امضِ إلى حيث لا أسمع بك ثانية!».

هكذا انتهت الحكاية.

(1) مطرقة ذات رأس خشبي (م).

Twitter: @ketab_n

حكايات روسية قصيرة
من جنوب روسيا)

هنا أيضاً يعلمنا السيد رالستن في مقدمته «لم أستطع إلا أن استخدم القليل من مجموعات جنوب روسيا من منطقتي كولش Kulish ورُدتشينكو Rudchenko، نظراً لعدم توافر معجم مكتمل باللهجة، أو بالأحرى باللغة، التي كتبت فيها». لذا فقد أورد حكاية طويلة وممتعة من أوكرانيا، عثرت عليها أنا أيضاً في مجموعة إيربن، تلك هي حكاية «نوركا». إذ أن إحدى حكايات إيربن من جنوب روسيا تقترب بنحو وثيق للغاية إلى حكاية جميلة عن حكومة فورونيتزه، أوردها رالستن، وأنا أفرد لها مكاناً هنا. كما ترجمت حكايات جنوب روسيا الأخرى كلها الواردة في مجموعة إيربن، رغبة مني في زيادة عددها.

يبدو أن حكايات الثعابين الأزواج تختتم بنهاية شريرة، هذا على أن الحكايتين اللتين ترجمتهما لا تنتهيان النهاية

Twitter: @ketab_n

المؤثرة كما في حكاية روسيا الكبرى الجميلة، «ثعبان الماء»، ولا شك في أنه ليس بالإمكان عد علم الأساطير المقارن متوافراً على بيانات تامة بهذا الصدد، حتى تخضع للفحص والتحليل.

في حكاية «الفتاة الجميلة والعجوز الشريرة» سنقابل حكاية قديمة بثوب غاية في البساطة.

Twitter: @ketab_n

الفتاة الجميلة والعجوز الشريرة

في كوخ في إحدى الغابات عاش رجل وزوجته، و لم يكن لهما أولاد. فمضيا يوماً إلى الحج بتوسلان الرب أن يمنحهما مولوداً. فرزقهما الرب بنتاً. كبرت الطفلة وصارت جميلة. وفي إحدى المرات مرّ الأمير راكباً فرسه في طريقه إلى القصر، عائداً من الصيد، فأرسل خادمه قائلاً له: «تلطف بسؤال أهل ذاك الكوخ شيئاً من الماء».

مضى الخادم ليطلب ماء فوجد طفلة تبكي ويتقاطر الدرّ من عينيها. فراحت أمها تهدئها، فأخذت الطفلة تتبسم، وتفتحت زهور من كل نوع. فمضى الخادم وقال: «أيها الأمير، رأيت طفلة صغيرة، عندما تبكي، يتساقط الدر من عينيها، ولمّا تتبسم، تتفتح زهور من كل نوع».

فدلف الأمير إلى الكوخ، وصار يضايق الطفلة كي يجعلها تبكي. فبكت، وتقاطر الدر. عندها رجا أمها أن تهدئها. وعندما بدأت تتبسم، شاهد الأمير زهوراً من كل نوع تتفتح.

Twitter: @ketab_n

وظلّ الأمير يمر دوماً من ذلك الطريق عند ذهابه للصيد. وكبرت البنت. وقال الأمير يوماً: «أيها الشيخ، زوجني بابنتك».

وكانت هي تطرز مناديلَ بأشكال نسور. لكن الإمبراطور قال لابنه: «أين ذهب عقلك، يا بني، حتى تتخذ من ابنة فلاح زوجة؟». عندها أخذ الأمير أحد المناديل التي طرزتها، وحمله إلى الإمبراطور، فصفق الإمبراطور بيديه لما رآه، وقال: «تزوج يا ولدي، تزوج بها!». وعندما جاء الأمير بها إلى بيته، كان في موكبه امرأة عجوز مع ابنتها. وبينما هم في الطريق، توقف الأمير ليصوّب على شيء ما، فسلبت العجوز الفتاة كل شيء، وقلعت عينيها، ثم ألقت بها إلى كهف في الأرض، وألبست ابنتها ملابسها، وتزوج بها الأمير من دون أن يميزها.

ونمت حول الكهف شجيرات كثيرة. وجاء شيخ ليجمع أغصاناً مقطوعة. وكانت الفتاة تجلس في الكهف، وعلى جبينها كتلة من الدر، كانت بكتها وهي جالسة في الكهف، لكن ما كان لديها عينان. فقالت للرجل: «خذني أيها الشيخ الطيب، وخذ هذه الجواهر التي هنا».

Twitter: @ketab_n

فما كان منه إلا أن أخذها، وجمع الجواهر، واصطحبها إلى داره. لم يكن في بيته أولاد، بل كانت فيه امرأة عجوز. فقالت الفتاة: «اجمع الجواهر في حقيبة، واحملها إلى المدينة لتبيعها، وإذا جاءتك امرأة عجوز، لا تبع لها، وقل: أعطني ما تحملين».

فحمل الحقيبة إلى المدينة والتقى امرأة عجوزاً. فقالت له: «بعني الجواهر!»، فقال لها: «اشتريها».

فقالت له: «كم تريد عليها؟» فقال لها: «أتعطيني ما تحملين؟»، فأعطته عيناً. وصارت الفتاة تطرز بعين واحدة منديلاً. ومرة أخرى حمل الشيخ مجوهرات إلى المدينة. فقالت المرأة العجوز مرة أخرى: «أيها الشيخ، بعني المجوهرات!»، فقال لها «اشتريها». فقالت: «كم تريد مقابلها؟»، فقال لها «أتعطينني ما تحملين؟». فأعطته العين الأخرى. وأخذت الفتاة تطرز مناديلَ أكثر جمالاً.

فقال الشيخ يوماً: «يقيمون مأدبة عشاء في قصر الإمبراطور». فردت عليه الفتاة: «اذهب، أيها الشيخ الطيب، إلى العشاء وخذ معك إبريقاً، لعلك تأتيني ببعض الحساء».

وربطت منديلاً من صنع يدها على رقبة الشيخ. وعندما لمح

Twitter: @ketab_n

الأمير المنديل على رقبة الرجل، صاح: «من أي بلد أنت، أيها الشيخ؟»، فرد الشيخ: «من تلك المزرعة، أيها الأمير، وتعيش معي في بيتي فتاة، ليتك تتعطف عليها وتضع لها شيئاً في هذا الإبريق».

فقال الأمير: «لكن، يا شيخ، من أين لك بهذا المنديل؟».

فأجاب: «عثرت على فتاة في كهف تحت الأرض، وهي التي طرزته لي». فعرفها الأمير في الحال بتطريزها. وصاح: «إنها هي! إنها هي!»، وعمد إلى ابنة المرأة العجوز فجعلها ترعى الخنازير. وانتهت الحكاية.

Twitter: @ketab_n

الثعبان والأميرة

كان ثمة إمبراطور وإمبراطورة لهما ثلاث بنات. وذا يوم مرض الإمبراطور، فأرسل ابنته البكر لتجلب له ماءً. فذهبت، فطلع لها ثعبان وقال لها: «تعالي! أتتزوجين بي؟».

فردت الأميرة: «كلا، لا أقبل بك».

فقال لها: «إذن، لن أعطيك أي ماء».

فقالت الابنة الثانية: «سأذهب أنا، وسيعطيني بعض الماء».

وذهبت، فقال لها الثعبان: «تعالي! أتتزوجين بي؟».

فردت عليه: «كلا، لا أقبل بك». فلم يعطها ماء.

فعادت وقالت: « لم يعطني ماء».

وقال الثعبان: «إن تزوجت بي سأعطيك ماء».

فقالت الصغرى: «سأذهب أنا، وسيعطيني بعض الماء».

Twitter: @ketab_n

وذهبت، فقال لها الثعبان: «تعالي! أتتزوجين بي؟».

فأجابته: «نعم». فجاء لها بماء من الأعماق، بارد وعذب. وأخذته إلى البيت، وسقت والدها، فشفي. وفي يوم الأحد، جاءت عربة، فقال أصحابها:

«افتحي الباب

يا أميرة!

لماذا فعل الحبيب ما فعل؟

ولماذا جاء بالماء من النبع،

يا أميرة؟».

ارتعبت الأميرة، وبكت، وراحت وفتحت الباب. فقالوا لها مرة أخرى:

«افتحي الغرف،

يا أميرة!

لماذا فعل الحبيب ما فعل؟

Twitter: @ketab_n

ولماذا جاء بالماء من النبع،

يا أميرة؟».

ثم دخلوا البيت ووضعوا الثعبان في طبق على المائدة. وكان الثعبان ملقى كأنه من ذهب! ثم خرجوا وقالوا:

«خذي مكانك في العربة،

يا أميرة!

لماذا فعل الحبيب ما فعل؟

ولماذا جاء بالماء من النبع،

يا أميرة؟».

وساروا بها إلى مسكن الثعبان. وعاش الاثنان معاً، وولدت لهما بنت. كما اتخذا عرابة أقامت معهما أيضاً، لكنها كانت امرأة شريرة. وسرعان ما توفيت الطفلة، ولحقت بها أمها سريعاً. فمضت العرابة ليلاً إلى القصر، حيث دفنت، وقطعت يديها. ثم عادت للبيت، وغلت عصيدة ماء، وسلخت اليدين، ونزعت خواتمها الذهبية. ثم حدث أن الأميرة ـ وكان هذا أمر الرب ـ جاءت تبحث عن يديها، وقالت:

Twitter: @ketab_n

«الدجاج هجع، والإوز هجع،

إلا عرابتي لم تهجع.

تسلخ أيادي بيضاء في عصيدة،

وتنزع الخواتم الذهبية».

فأخفت العرابة نفسها تحت الموقد. فأعادت الأميرة القول:

«الدجاج هجع، والإوز هجع،

إلا عرابتي لم تهجع.

تسلخ أيادي بيضاء في عصيدة،

وتنزع الخواتم الذهبية».

جاء اليوم التالي، فوجدوا العرابة ميتة تحت الموقد. و لم يدفنوها كما يليق، إنما ألقوا بها في حفرة.

Twitter: @ketab_n

حكايات من روسيا الكبرى

لدي هنا ملاحظة صغيرة لم يشر إليها السيد رالستن. فحكاية «شجرة الليمون» هي نص بديل عن النص الذي أورده غريم «زوجة صياد السمك». ففي هذه الحكاية، وهي عن حكومة موسكو، ثمة خلط غريب بين «الملك» (korol)، و«الإمبراطور» (tzar). فالفلاح يطلب أن يكون korol «ملكاً»، لكن الإجابة تأتيه أن «الإمبراطور» (tzar) يختاره الرب. إذ كان ملك بولندا في السابق عاهل الغرب الجبار في موسكو، التي خرجت من عبودية التتار في عهد دوق عظيم، أو أمير عظيم. ولعل هذا الخلط يلمح إلى أن الحكاية تبلورت في شكلها الحالي بعد وقت قصير من انتحال حاكم موسكو القديمة المنصب الإمبراطوري.

أما في ما يتصل بحكاية «إيليا المورومي[1] والعندليب

(1) نسبة إلى موروم Murom (بالروسية: Мýром) المدينة التاريخية في مقاطعة فلاديمير، في روسيا، التي تمتد بمحاذاة الضفة اليسرى لنهر اوكا، حوالي 300 كيلومتر شرق موسكو (م).

Twitter: @ketab_n

السارق»، فإن السيد رالستن، في كتابه «أغان من الشعب الروسي»، يعطي وصفاً للمنوال الذي بلغ فيه إيليا المورومي مقاماً رفيعاً من القوة من الذي كان عظيم الأبطال سفياتوزور Svyatozor (ص ص 58 ـ 63). إلا أن من خلال مآثره، في الحكاية التي أوردتها، يظهر أن إيليا يتوافر على ما يكفي من قوة لمعظم الأغراض.

Twitter: @ketab_n

التحول إلى عندليب ووقواق

أحبت فتاة ثعباناً، وأحبها هو أيضاً، فاتخذها زوجة له. كان مسكنه من الزجاج النقي، كله من البلور. كان مسكنه هذا تحت الأرض، في رابية، أو ما شابه. ويقال إن أمها العجوز حزنت عليها في البداية. فكيف تستطيع أن تساعدها في هذا الأمر؟ وبعد وقت ولدت زوجة الثعبان توأمين، ولداً وبنتاً، وكان منظرهما وهما مستلقيان بجانب أمهما، وكأنهما من شمع، فقد كانت هي نفسها جميلة مثل وردة. ولأن الرب رزقها بأطفال، قالت: «الآن، وبعد أن ولدا بشرين، سأعمدهما بين البشر».

واتخذت الأم لها مقعداً في عربة ذهبية، ووضعت الطفلين على ركبتيها، وساروا إلى قرية البابا[1]. ولم يسمح لموكبهم بالدخول إلى البلد، فحزنت الأم حزناً كبيراً. فراحت العجوز تحتج بشدة في القرية كلها، وأمسكت بمنجل، واقتحمت البلد. ولمّا رأت علامة الموت أمامها، نادت على طفليها، وقالت لهما:

(1) يشار دوماً إلى القساوسة الأورثوذوكس اليونانيين بـ«البابوات».

Twitter: @ketab_n

«حلقا يا طفليّ، كطيرين في السماء: أنت يا ولدي الصغير طر كعندليب، وأنت يا ابنتي كوقواق». فطار من نافذة العربة اليمنى عندليب، ومن نافذتها اليسرى وقواق. ماذا حصل للموكب والخيول وكل شيء، فهذا أمر لا يعرفه أحد. بل حتى المربية لم يبق لها أثر، انبثق فقط نبات قُرّاص[1] ميت على جانبي الطريق.

Twitter: @ketab_n

(1) : نبات ذو وبر شائك (م).

حلول الروح

مرت امرأة بنوع من المغامرة. فعندما كانت تخرج إلى الحقل لتقطع حشيشاً، أو تجلب القنّب، وعندما تضع الطعام على الموقد، يأتي أحد ما ويرفع الطعام من الموقد، ويأكله وينظف القدر. وكانت المرأة تفكر بما يدل عليه هذا الوضع؟ لكنها لم تتمكن معرفة ذلك البتة. وفي أحد الأيام، جاءت إلى البيت، وكان الباب مغلقاً، فلم تجد في البيت سوى طفل - ربما عمره نصف سنة - في المهد. فلجأت إلى امرأة حكيمة. فناشدتها أن تأتي معها إلى البيت ودفعت لها مالاً، فأتت الحكيمة. تطلعت الحكيمة في المكان، وهي تشمشم. وفجأة سمعت صوتاً غامضاً. فقالت لها: «اذهبي إلى الحقل، وسوف أخفي نفسي، وسنرى ما الأمر».

ذهبت المرأة إلى الحقل، وأخفت المرأة الحكيمة نفسها في إحدى زوايا البيت، وراحت تراقب. وما هي إلاّ لحظات حتى... بُب! قفز الطفل خارجاً من المهد! وكانت الحكيمة

Twitter: @ketab_n

تنظر، فلم يعد طفلاً، بل صار رجلاً طاعناً في السن يشبه القزم تماماً، ولحيته طويلة. وفي لحظة، توجه إلى الطعام، ورفع القدور عن الموقد، وصاح، وبدأ يلتهم الطعام. وبعدما التهمه كله، عاد ثانية إلى هيئة طفل، لكنه الآن لم يعد قادراً على الزحف إلى المهد، وبقي مستلقياً على الأرض، يصرخ حتى كان صراخه يتردد في البيت. عندها توجهت إليه الحكيمة ووضعته على كتلة حطب، وراحت تقطع الكتلة تحت أقدامه. وكان هو يصرخ وهي تقطع، هو يصرخ وهي تقطع. ثم رأت كيف انتهز هذه الفرصة وصار رجلاً كبيراً مرة أخرى، وقال لها: «أيتها العجوز، لم أحول نفسي مرة ولا مرتين حسب: فقد كنت أولاً سمكة، ثم صرت طيراً، وبعدئذ نملة، ثم حشرة، والآن أجرب أن أكون بشراً. فلم أجد أن أفضل شيء أن يكون المرء بين النمل، إنما ليس أسوأ شيء أن أكون بين بني البشر!».

Twitter: @ketab_n

العرّاف

ذات مرة كان في قريتنا هذه نمساوي، وكان عرافاً بارعاً إلى الحد الذي يتمكن فيه من أن يجعل السماء تمطر أو تُسقِط بَرَداً وقتما يشاء. وحدث أننا كنا نحصد الذرة في ريفنا، نمر سحاب. فرحنا نستعجل في حزم الذرة، إلا أنه لم يكن يلتفت لنا، وراح يحصد ويحصد، وهو يدخن غليونه، ويقول: «لا تخافوا لن يسقط مطر». وإليكم ما جرى: لم تمطر. ومرة، كنا نقطع الجاودار، وهذا ما رأيته بعيني هاتين، فادلهمت السماء، وهبت رياح ورحنا نسمعها تصفر من بعيد، وسرعان ما وصلت فوق رؤوسنا. وراحت السماء ترعد وتبرق، وتهب زوابع... كأنها عاصفة. آه يا ربي! عاصفة! ماذا سنفعل! فرحنا نحتمي وراء حزمنا، لكنه كان يقول لنا: «لا تخافوا، لن تمطر».

فقلنا له: «وكيف لن تمطر؟»، و لم نصغ إليه. لكنه كان يدخن غليونه في الخارج، ويحصد الذرة بهدوء. وفجأة جاء رجل على حصان أسود، لابساً سواداً في سواد ونزل مباشرة على النمساوي «هيه! اسمح لي بهذه!»، فرد النمساوي: «لا، لا أسمح لك!»،

Twitter: @ketab_n

فقال الرجل: «اسمح لي بها، وكن رحيماً!»، فقال النمساوي: «لا. فمن المحال نزول هذه الكمية».

فأذعن الفارس للرجل، وأغذ السير إلى القرية.

بعدئذ صار السحاب الأسود رمادياً ثم ابيضّ. فخشي الكبار فينا أن بَرَداً سيسقط. لكن النمساوي لم يكن يعبأ. واستمر يحصد الذرة ويدخن غليونه. ومرة أخرى جاء فارس متجهاً إلى القرية أسرع من الأول. لكن ملابس هذا الفارس كانت كلها بيضاً، وكان راكباً على حصان أبيض. فصاح على النمساوي: «اسمح لي». فرد عليه النمساوي: «لا! لا أسمح لك». فقال له الفارس: «كرمى للرب!». فرد النمساوي «لا، فمن المحال نزول كمية كهذه».

فقال له: «هيه! اسمح لي، فلا أستطيع الصمود!» عندها فقط، رقَّ النمساوي، وقال له «طيب اذهب الآن، لكن إلى الوادي الصغير فقط، الذي وراء السهل»

وما كاد أن يقول ذلك، حتى توارى الفارس، وانهمر البَرَد بعيداً عن الحقل. وفي غضون ساعة تقريباً، غمر البَرَد الوادي تماماً حتى بلغ حوافه.

Twitter: @ketab_n

شجرة الليمون

في أحد المساءات سأل فانيوشا[1]: «من أين جاء تشابه أكف الدببة مع أيدينا وأقدامنا؟».

فرد عليه جده: «اسمع يا فانيوشا. سأخبرك بما سمعته أنا بنفسي من الناس القدماء. يقول الأقدمون إن الدببة كانت مثل البشر، مثلنا نحن الأرثوذوكس المسيحيون. ففي إحدى القرى كان ثمة رجل فقير يعيش في كوخ. وكان كوخه بائساً، لا بوني[2] لديه، ولم يحلم بامتلاك بقرة، بل لم يكن يملك حتى حطباً. وحل الشتاء، فكانت غرفته، التي لا نار فيها، باردة. فتناول الرجل فأسه، ومضى إلى الغابة. فصارت شجرة فاتنة ـ شجرة ليمون ـ أمام ناظريه. فراح يضربها بفأسه، ويقطعها، لكن شجرة الليمون تحدثت إليه بكلام البشر: «سأعطيك ما تريد. ولو لم يكن عندك أموال، ولو لم تكن عندك زوجة، فسأعطيك هذا كله».

(1) وضع فراتسلاف بين قوسين اسم (جون) كمقابل إنجليزي، ولا يحتاج النص العربي إلى هذه الإشارة حفاظاً على مناخ الحكاية (م).

(2) فرس قزمة (م).

Twitter: @ketab_n

فقال الفلاح: «طيب، أيتها الأم، إن جعلتني أغنى الفلاحين كلهم. فأنا لا أملك فرساً ولا بقرة، ومسكني بائس».

فقالت شجرة الليمون: «امض إلى دارك، وكل شيء سيكون عندك».

فذهب الفلاح. ووجد داراً جديدة: سياجاً من ألواح خشب متينة، وخيولاً تتوق للانطلاق، وعنابر مليئة بالحبوب. لكن صاحب الكوخ لم يكن راضياً، لأن زوجته لم تكن مليحة. فما العمل؟ فقال لنفسه: «سأرجع إلى الأم شجرة الليمون».

وتناول فأسه، وسار إلى الغابة.

دخل الغابة وتوجه إلى شجرة الليمون، وضربها بفأسه. فقالت له: «ما تريد؟».

فرد عليها: «أيتها الأم شجرة الليمون، بين البشر هناك زوجات وزوجات، لكن زوجتي من قبيحاتهن. تفضلي عليَّ وأعطيني زوجة مليحة».

فقالت شجرة الليمون: «امض إلى بيتك». فذهب الفلاح. فاستقبلته زوجة بالغة الحسن. والحال هذه، عاش صاحب الكوخ

Twitter: @ketab_n

حياة هانئة مع زوجته الشابة، وراح يفكر في نفسه: «لطيف أن نعيش ولدينا أموال، لكننا تحت سلطة عليا. أفمن المحال أن أكون أنا نفسي السلطة العليا؟». وصار يفكر بهذا الأمر هو وزوجته. فذهب ثانية إلى شجرة الليمون الفاتنة.

وسار إلى الغابة، وصل شجرة الليمون فضربها بفأسه. فقالت له: «ماذا تريد أيها الفلاح؟».

فقال لها: «وبعد أيتها الأم شجرة الليمون! لطيف أن نعيش وفي أيدينا أموال، لكننا تحت سلطة عليا. فهل محال عليَّ أن أكون رئيس البلدة؟».

فقالت له: «ممتاز: امض إلى بيتك، وسيكون لك كل شيء».

و لم يطل الوقت بصاحب الكوخ وهو في بيته، حتى جاءته رسالة ـ«اختير صاحب الكوخ رئيسا للبلدة».

وعاش صاحب الكوخ رئيسا للبلدة، وراح يقول لنفسه: «لطيف أن يكون المرء رئيساً للبلدة، لكن ذلك كله تحت سلطة الحاكم. أمحال عليَّ أن أكون الحاكم؟» وصار يقلب الأمر مع زوجته، وتشاورا فيه، ثم ذهب مرة أخرى إلى شجرة الليمون.

Twitter: @ketab_n

وصل إليها، وضربها بفأسه. فسألته الشجرة: «ما تريد؟».

فقال لها: «شكراً لك أيتها الأم على كل شيء، لكن كيف لي ألاّ أنزع قبعتي أمام الحاكم، وأصير أنا نفسي الحاكم؟».

فردت عليه: «ماذا أصنع معك؟ ارجع إلى بيتك، وسيكون لك كل شيء».

وما كاد يجلس في بيته، حتى جاء موكب قائد الحاكم، حاملاً له رسالة من الملك، تقول إنه صار نبيلاً. ومن الحظ أن يكون الرجل نبيلاً. وصار يقيم حفلات وينصب موائد.

«لطيف أن يكون المرء نبيلاً، لكن من دون منصب رسمي! أمحال عليه أن يصير مسؤولاً؟». فكرا وتحدثا بهذا الأمر. ومضى إلى شجرة الليمون وضربها بفأسه. فقالت له: «ما تريد أيها الفلاح؟».

فقال لها: «أشكرك أيتها الأم على كل شيء، لكن أمحال عليّ أن أكون مسؤولاً؟».

فردت عليه: «حسن، إذن اذهب إلى بيتك!».

Twitter: @ketab_n

ولم يطل به المقام في بيته، حتى جاءت رسالة ملكية ـ فقد قلد منصباً. وراح يقول: «لطيف أن يحمل المرء النياشين، لكن ذلك كله تحت سلطة قائد الحاكم. أمحال عليَّ أن أكون قائد الحاكم؟».

وتداول الأمر مع زوجته، وتوجه إلى الغابة قاصداً الشجرة الفاتنة، شجرة الليمون إياها.

وصل إلى شجرة الليمون وضربها بفأسه. فقالت: «ما تريد أيها الفلاح؟ ما الذي يسوؤك؟».

فقال لها: «أشكرك أيتها الأم على كل شيء، لكن أمحال عليَّ أن أكون القائد، وأتملك ميراثاً غنياً؟»

فردت عليه: «صعب تنفيذ ذلك. لكن ما الذي أفعله معك؟ عُد إلى البيت!».

وما كاد الرجل يصل بيته حتى وصلته رسالة تخبره أنه صار القائد، وأهديت له ممتلكات يورثها. وغدا صاحب الكوخ قائداً، ثم أنه بهذا المنصب لم يعد فلاحاً. وراح يقول لنفسه: «لطيف أن أعيش قائداً، لكن ذلك كله تحت سلطة الملك». ونظر في هذا الأمر، وذهب إلى الغابة قاصداً الشجرة الفاتنة،

Twitter: @ketab_n

شجرة الليمون.

وصلها وضربها بفأسه. فسألت الشجرة: «ما تريد؟».

فقال لها: «كل شيء في أحسن حال، وأشكرك على كل شيء، لكن أمحال عليّ أن أكون أنا الملك؟».

وأخذت شجرة الليمون تحاول إقناعه: «أيها الأحمق، ماذا تطلب؟ انظر فيمَ كنت، وأين أصبحت. فمن ساكن كوخ صرت صاحب رتبة رفيعة، ثم أن الإمبراطور[1] يختاره الرب».

واجتهدت شجرة الليمون بإقناعه بكل الحجج أن ليس من الأفضل له طلب هذا الأمر، لكن من دون جدوى. و لم يتزحزح ساكن الكوخ، بل راح يصر على أن تصيّره إمبراطوراً.

فقالت له شجرة الليمون: «محال فعل ذلك، ولن يتحقق، بل ستخسر أيضاً كل ما سبق أن نلته!».

وظل ساكن الكوخ مصراً.

فقالت شجرة الليمون «تحوّل إلى دب، وزوجتك دبة!». وصار دباً، وزوجته دبة. ومضيا مع الدببة.

---

(1) لاحظ التحول من ملك (korol) إلى إمبراطور (tzar).

Twitter: @ketab_n

هنا تساءل الحفيد: «وهل يمكن لهذه القصة أن تكون حقيقة، يا جدي؟».

فأجابه الجد: «الواقع هي خرافة. لكنها تقول لك لا تتمنى المحال، واقنع باليسير. فإذا أنت طمعت بالكثير، ستخسر ما كنت قد حصلت عليه».

Twitter: @ketab_n

إيليا المورومي والعندليب السارق

في مدينة موروم الشهيرة، وفي قرية كاراتشاروف، عاش الفلاح إيفان تيموفيوتش. كان له ولد واحد، هو إيليا مورومیتز[1]. وجلس كما الأطفال ثلاثين عاماً، وعندما انقضت الثلاثين، بدأ المشي بثبات على قدميه، ووعى أن لديه قوة هائلة، فصنع لنفسه عدة محارب ورمحاً من فولاذ، وأسرج فرساً جيدة، تليق ببطل. ومضى إلى أمه وأبيه، وسألهما بركتهما: «يا أبي وأمي الكريمين، اسمحا لي بالذهاب إلى مدينة كييف الشهيرة لأعبد الرب، واخدم أمير كييف».

فبارك والداه رحلته، وأوصياه بصرامة، وقالا له: «امضِ مباشرة إلى كييف، مباشرة إلى مدينة تشيرنيغوف[2]، وفي طريقك لا تظلم أحداً،

(1) تتلخص الأساطير الروسية بقصص «بيليني byliny» المعروفة لدى المهتمين في هذا المجال، التي تعني «الذي قد حدث». وتنقسم بيليني إلى مستويين: الأول يتمحور على بوغاتيري bogatyri أو «الأبطال البواسل الكبار»، فيما يتمركز الثاني على أبطال شباب. والمستوى الأول أقدم أصلا وتمثلئ بعناصر ميثولوجية. وإيليا مورومیتز أشهر محاربي البوغاتير الأبطال. وضع رسم إيليا في العام 1913 على طوابع روسية (م).

(2) أو تشيرنيخيف، مدينة تاريخية في شمال أوكرانيا (م).

Twitter: @ketab_n

ولا تسفك دماً تقياً بلا موجب». وتلقى إيليا[1] موروميتز البركة من أبيه وأمه، وصلى للرب، وغادر أباه وأمه، وانطلق برحلته.

وتوغل في أعماق الغابة المعتمة، حتى جاء إلى مخيم لصوص. لمح اللصوص إيليا موروميتز، وتحرقت قلوبهم على حصان البطل، وأخذوا يتحدثون في ما بينهم عن سلب حصانه منه، لأنهم لم يعتادوا على رؤية مثل تلك الخيول في أي مكان، والآن يعتلي رجل غير معروف صهوة حصان كهذا. وهبوا عشرات ليهاجموا إيليا موروميتز. أوقف إيليا موروميتز فرسه البطولية، وأخرج من كنانته سهماً مصنوعاً من شجر الغلدار، ووضعه بقوسه القوي. وأطلق سهم شجر الغلدار بمستوى امتداد الأرض، فقطع المسافة طولاً وعرضاً. ولمّا رأى اللصوص ذلك، أصابهم الرعب، وتجمعوا، وخروا راكعين، فقالوا: «أنت سيدنا وأبونا، أيها الشاب الطيب الشجاع! ونحن مذنبون أمامك، ولك أن تأخذ على ذنبنا ما تشاء من الثياب الملونة وقطعان الخيول».

فتبسم إيليا وقال: «ليس لدي مكان يسعها، لكن إن أردتم العيش، لا تغامروا بعد هذا!». وانطلق في سبيله إلى مدينة كييف الشهيرة.

وسار إلى مدينة تشيرنيغوف، ودون مدينة تشيرنيغوف تلك

(1) في الأصل الإنجليزي «ايفان موروميتز»، ولعله خطأ طباعي (م).

Twitter: @ketab_n

كانت تقف جيوش وثنية لا تعد ولا تحصى، وكانت تحاصر مدينة تشيرنيغوف، وتريد تدميرها وتخريب كنائس الرب فيها، وأسر أمير تشيرنيغوف ودوقها. أخذ الرعب من نفس إيليا موروميتز ازاء هذه القوة الهائلة، إلا أنه نذر نفسه للرب خالقه، فعزم على التضحية بنفسه من أجل العقيدة المسيحية. وأخذ إيليا موروميتز يذبح القوات الوثنية برمحه الفولاذي، وألحق الهزيمة بالجيوش الوثنية جميعها، واسر أمير الوثنية، وأخذه إلى مدينة تشيرنيغوف. فخرج الناس من المدينة لاستقباله بحفاوة وتكريم، وجاء أمير المدينة ودوقها بنفسه. واستقبلوا الشاب الطيب استقبالاً الأبطال، وشكروا الرب، لأنه أرسل لهم من ينقذ مدينتهم من حيث لا يعلمون، وأنقذ أرواحهم من القتل عبثاً بأيدي جمهرة وثنيين كأولئك، فضيفوه أيما ضيافة، ثم ودعوه ومضى يكمل رحلته.

سار إيليا موروميتز متجهاً إلى مدينة كييف من الطريق المباشر إليها من مدينة تشيرنيغوف، وكان يعاني على مدى ثلاثين عاماً كاملة من العندليب السارق، الذي يقطع الطريق على الراكب والراجل، ويذبحهم ليس بسلاح يحمله، بل بصفيره السارق. ودخل إيليا موروميتز إلى البلاد المكشوفة، ولمح آثار الخيول

Twitter: @ketab_n

فتبعها حتى وصل إلى غابة برانسكيان، عند المستنقعات الموحلة، عند جسور غابات الغلدار، وعند نهر سمورودنكا. سد عليه العندليب السارق طريقه ووضعه بمحنة كبيرة، وقبل أن يقترب إيليا مروميتز حوالي عشرين فرستا[1]، انطلق يصفر بشدة صفيره السارق، لكن قلب البطل لم يهلع. عندها، وقبل أن يقترب منه عشرة فرستات تقريباً، زاد من صفيره بعنف أشد، ومن صفيره ترنح الفرس تحت إيليا موروميتز. وتقدم إيليا مروميتز إلى العش، الذي كان مبنياً على اثنتي عشرة شجرة سنديان. وكان العندليب السارق يرقب بطل روسيا المقدسة، ويصفر بكل ما أوتي من قوة، قاصداً تعذيب إيليا موروميتز حتى الموت.

تناول إيليا موروميتز قوسه الصارم، ووضع فيه سهماً من شجر الغلدار، وأطلقه على عش العندليب، فأصابه في عينه اليمنى فهوى. وتدحرج العندليب السارق على الأرض مثل كيس مملوء بالشوفان. أخذ إيليا السارق، وأحكم وثاقه إلى ركابه الفولاذي، وسار به إلى مدينة كييف الشهيرة. وكان قصراً فخماً ينتصب على الطريق يملكه العندليب السارق، وعندما

(1) فرست verst مقياس روسي للطول، ويقارب حوالي كيلو متر واحد و 0668 متراً (م).

Twitter: @ketab_n

صار إيليا قبالته، تفتحت الشبابيك، ووقفت في تلك الشبابيك بنات العندليب الثلاث يتطلعن. فرأته أصغرهن، وصاحت على أختيها: «ذاك هو أبونا قادم بغنيمة، ويسوق إلينا رجلاً مقيداً إلى ركابه الفولاذي». لكن البنت البكر نظرت، وراحت تبكي بمرارة وتقول: «ليس ذاك المقبل أبونا، بل الغريب مقبل يجر أبانا».

ورحن يصرخن على أزواجهن: «يا أزواجنا الأعزاء! اركبوا خيولكم وقابلوا الرجل، وخلصوا أبانا منه، ولا تدعوا عائلتنا تتلطخ بهذا العار».

حمل أزواجهن، وكانوا أبطالاً أشداء، على بطل روسيا المقدسة، وكانت خيولهم قوية، ورماحهم ماضية، وكانوا يوشكون على استقبال إيليا برماحهم. وحينما لمح العندليب السارق هذا، قال لهم: «يا أصهاري الأعزاء، لا تلبسوا أنفسكم العار، ولا تغضبوا بطلاً مغواراً، بل استعطفوه بتواضع كي يشرب كأساً من الشراب الأخضر في بيتي».

ونزولاً عند طلب الأصهار، انعطف إيليا نحو البيت، غافلاً عن خستهم. فأخرجت البنت البكر لوحاً من حديد مربوطاً بسلاسل، ووضعته على الباب، كي تسحقه به. لكن إيليا لمحها

Twitter: @ketab_n

عند الباب، فضربها برمحه وقضى عليها.

عندما وصل إيليا إلى مدينة كييف، توجه مباشرة إلى قصر الأمير، ودخل منزله، وكان من الحجر الأبيض، فحمد الرب، وركع للأمير. فسأله الأمير: «أخبرني أيها الشاب الطيب، ما يسميك الرجال، ومن أي مدينة أنت؟».

فرد إيليا بأدب: «يا سيدي، ينادونني الرجال الصغير إيليا، أما من جهة عائلة أبي فأنا إيفانوف، من أهل مدينة موروم، من قرية كاراتشاروف».

فتساءل الأمير: «ومن أي طريق جئت من موروم؟».

فقال له: «من طريق تشيرنيغوف، ودون أسوار هذه المدينة هزمت جمهرة وثنيين لا يحصون، وأنقذت المدينة. بعدئذ أخذت الطريق المباشر، وأسرت البطل الجبار، العندليب السارق، وجئت به إلى هنا مربوطاً بركابي الفولاذي».

فقال الأمير، وقد استبدّ به الغضب: «أي كذبة ترويها لي!».

وما إن سمع البطلان اليشا بوبوفيتش ودوبرينيا نيكيتيتش هذا الكلام حتى هرعا ينظران، فأكدا للأمير أن ما يقوله حق. فأمر الأمير بكأس من الشراب الأخضر للشاب الطيب. ورغب

Twitter: @ketab_n

الأمير أن يستمع إلى صفير السارق. فغطى إيليا الأمير والأميرة بعباءة من جلد السمّور، ووضعهما تحت ذراعيه، ودعا أن يأتوا بالعندليب، فأمره أن يصفر صفير العندليب بنصف قوته. إلا أن العندليب السارق صفر بأقوى صفيره السارق، فأصيب الأبطال بالصمم، وخروا على الأرض. فعاقبه إيليا بقتله.

أقام إيليا عهد إخاء مع دوبرينيا نيكيتيتش. وأسرجا جيادهما المطهّمة، وانطلقا إلى السهوب بحثاً عن المغامرة، وسارا ثلاثة شهور كاملة من دون أن يعثرا على خصم. لكنهما واصلا السير في السهوب، وهناك جاء شحاذ يهيم على وجهه: كان الرداء الرث الذي يلقيه على ظهره يزن خمسين بودا، وقبعته تسعة بودات، وطول عصاه عشر قامات. وأخذ إيليا موروميتز يحث حصانه نحوه، وكان على وشك أن يتبارى معه مباراة بطولية. عرف الشحاذ الهائم إيليا موروميتز فقال له: «إيه! أنت إيليا موروميتز. لو تتذكر، نحن تعلمنا القراءة والكتابة معاً في مدرسة واحدة، وها أنت الآن تغير بحصانك على مسكين أشلّ كحالي، كما لو أنك تغير على عدو. لكنك لا تعرف أن خطباً جللا حدث في مدينة كييف الشهيرة. فقد وصلها كافر، بطل باسل، هو إيدوليشتشا النجس. رأسه بحجم مرجل جعة،

Twitter: @ketab_n

وعرض كتفيه قامة، والمسافة بين قوس حاجبيه شبر، والمسافة بين أذنيه قوس من شجر الغلدار، يأكل ثوراً في وجبة واحدة، ويحتسي الجعة ببرميل، وأمير كييف، حزين للغاية منك، لأنك تركته في ورطة كهذه».

ارتدى إيليا موروميتز ملابس شحاذ ومضى مباشرة إلى بلاط الأمير، وصاح بصوت بطولي: «ها، أينك يا أمير كييف؟ أعط الصدقة لشحاذ هائم».

لمّا رآه الأمير، قال له: «وافنا إلى القصر، أيها الشحاذ، سأسد جوعك وعطشك، وأعطيك ذهباً لرحلتك».

فدلف الشحاذ إلى القصر وجلس إلى جانب الموقد، وراح يتطلع إلى ما يحدث. طلب إيدوليشتشا طعاماً ليأكل. فجلبوا له ثوراً مشوياً بأكمله، وبدأ يلتهمه، وقضم حتى عظامه و لم يبق منه شيئاً. وطلب إيدوليشتشا شيئاً ليشرب. فجاءوا له ببرميل جعة، يحمله عشرون رجلاً، فتناوله بيديه، وشربه كله. فقال إيليا موروميتز: «كانت عند أبي فرس شرهة، وأفرطت في الأكل حتى ماتت».

لم يتحمل إيدوليشتشا ذلك وقال: «ها، أنت أيها الشحاذ السائح! لمَ تشتمني؟ أنت لا تساوي أن أعالجك بيدي. كلا، فما

Twitter: @ketab_n

أنتم؟ لو كان فيكم أحد مثل إيليا موروميتر لقاتلته».

فانبرى إيليا: «إذن، هنا واحد مثله»، وخلع قبعته، وضربه بها بلطف على رأسه. واندفع فحطم جدار المنزل وحمل جثة إيدوليشتشا ورمى بها خارجاً من الشق. فأكرم الأمير إيليا أعظم التكريم ووضعه في عداد الأبطال البواسل.

Twitter: @ketab_n

حكايات سلافية جنوبية

Twitter: @ketab_n

حكايات بلغارية

لم يشتق البلغار اسمهم من أصل سلافي، بل من طائفة فرسان صغيرة مولعة بالحرب، عبرت الدانوب في العام 679 ميلادي تحت قائد يسمى اسبيرخ Isperich، وفتحوا القبائل السلافية المفككة التي كانت تقطن في موزيا Moesia، ووحدوها في مملكة قوية. وذاب الفاتحون في المفتوحين، وفقدوا لغتهم، لكنهم منحوا اسمهم إلى دولة وبلاد. ولا يبدو أن لغة الشعب السلافية قد تأثرت بلغة فاتحيهم الأوغور Ugrian، بل بالأحرى باللغة الثراسية Thracian القديمة، التي، بالاشتراك مع اللاتينية، ولدت الرومانية الحالية. إذ أن خصائص اللغة البلغارية الحالية تتمثل بـ: (1) غياب الصرف في الأسماء والصفات، فيما نسق الأفعال أكثر اكتمالاً وتعقيداً، (2) التعبير عن المضاف إليه والنصب من خلال تصدير حرف الجر 3) ،na) أدوات التعريف والتنكير، التي استعيرت أيضاً من اللغة الثراسية القديمة، قريبة إلى الاليرية التي ينطقها الألبان اليوم والأيبيريون، (4) فقدانها

Twitter: @ketab_n

صيغة المصدر، الذي يحل محله da، مع الفعل الجامد. وبهذا الصدد يقول البارون فينسيسلاس فراتسلاف Wenceslas Wratislaw، في معرض وصف رحلته في بلغاريا في العام 1591، عن شعبها: إنهم يستخدمون اللغة السلافية، حتى إننا نحن البوهيميون نتمكن من محادثتهم.

والحكايات البلغارية نفسها لافتة للنظر، وبعض منها جدّ جميلة، كما الحال مع الأغاني البلغارية، التي أفرد لها السيد مورفل في مؤلفه «الأدب السلافي» (ص 125 ـ 144) حيزاً كبيراً. فهناك تقاليد قديمة قدم العالم وساكنيه، أصلها وثني على ما يبدو (الرب كرجل عجوز) وانصهار فريد من نوعه لتاريخ إبراهيم واسحق وبعض من أمثالهما، على الأرجح تقليد وثني (كرم الضيافة البلغاري)، ونسخة عن «سندريلا» ، التي تعرض بوضوح، بإشراكها تناسخ الأرواح، أصلاً هندياً، حكاية جميلة (التفاحات الذهبية والطواويس التسعة)، الجزء الأخير منها تنويع على الجزء الأخير من حكاية «ماريا موريفنا» الروسية (رالستن، ص 85)، وسيتعرف الكثير من القراء في الجزء الأخير من حكاية «لسان الحيوانات»، تنويعاً على حكاية قديمة.

Twitter: @ketab_n

كرم الضيافة البلغاري

ذات مرة، عندما خلق الرب العالم، رغب في أن يرى كيف يعيش خلقه، فنزل من السماوات أولاً على جبال البلقان، فاتخذ هيئة رجل بلحية بيضاء طويلة وملابس بيض، بيده صولجانه، ومضى في أرض البلغار، وتنقل كثيراً، يرما بأكمله، في الجبال القفر. وعند المساء جاء إلى قرية ليمضي الليل فيها. وتوجه إلى أول بيت في طرف القرية وجلس على عتبته، لا يقول شيئاً، بل يتأمل. كانت سيدة البيت في منزلها تؤدي بعض الأعمال، ولم تره. لكن زوجها عاد من الحقل، من حرثه، ولمح الشيخ الكبير، فسُرّ وقال له: «أيها الشيخ، أنت جد مُتعَب، لقد أرهقك السفر. ادخل إلى البيت وأرح بدنك، ولو أن البيت فقير. وسأكرمك بكل ما أعطانيه ربي، وما عليك سوى طلب ما تريد».

نظر إليه الشيخ بعينين مبتهجتين، ودخل الدار وجلس. واندفع الرجل وزوجته بسرعة وأعدا طعاماً مضيافاً بقدر ما يملكان، وقدماه بأجمل ما يستطيعان، ووضعاه بين يديه على

Twitter: @ketab_n

المائدة. وأخذ الزوجان يتناولان من طعام بيتهما، إلاّ أن الشيخ لم يمد يده، واكتفى بشم رائحة الوليمة، من دون أن يقول شيئاً، مراقباً كيف يستمتع هذان الشخصان ويبتهجان. وكانا يصران على مشاركته ويتوسلان إليه أن يأكل: «يا شيخ، لم لا تأكل؟ ستبقى جائعاً. خذ وتذوق، وجرب، ما يعجبك. فكل ما لدينا هو الآن أمامك».

فقال الشيخ: «كلا أنتما، كِلا، فأنا أفكر بشيء ما».

وعندما أكلا وشبعا، قاما. ومضت سيدة البيت لتطعم طفلها لأنه كان يبكي. عندها قال الشيخ لزوجها: «أتعلم أيها السيد ما يريحني؟ لا أستطيع أكل أي شيء، إنما أرغب بلحم بشر مشوي. اقتل ابنك الصغير، واغسله جيداً، وضعه كله في المقلاة وأدخله في الفرن، واحرص على ألا تراك زوجتك، كي لا تبكي».

فرد الرجل: «أهذا كل ما تريد، أيها الشيخ؟ لِمَ لم تخبرني قبلاً، فكيف أرضى أن يجلس ضيفي جائعاً في بيتي؟ ألم أخبرك أن كل شيء أعطانيه ربي بين يديك؟ ثم إني أحبك حباً جماً أيها الشيخ، فقلبي يقول لي إنك طيب: والآن سترى، فاصبر قليلاً حتى أعد لك ما ترغب فيه».

Twitter: @ketab_n

خرج الرجل، وكانت زوجته منشغلة ببعض الأعمال، تاركة طفلها يلعب في ضوء القمر، حتى غالبه النوم، من دون أن تعلم بما يجري. فأخذ زوجها الطفل وقتله بعجل، ووضعه كله في المقلاة، وأغلق عليه الفرن، كي لا تراه أمه حين يشوى، ثم مضى إلى الشيخ، وجلس إلى جانبه وراح يحادثه بلطف وبهجة. ولم يطل بهما الحديث حتى صمت الشيخ، وأخذ يشم، ثم قال لخادمه، صاحب البيت: «امض وانظر إلى اللحم المشوي، فرائحته زكية، لعله طهي جيدا».

نهض الرجل، ومضى، وفتح الفرن ليرى ما وضعه فيه وأخرج اللحم المشوي. لكن ما رأى؟ لقد ذهل وذعر وهو ينظر إلى المعجزة، فالفرن كله والبيت كله تألق بنور الطفل. وكلل الذهب المقلاة والطفل وصارا يسطعان كالشمس. وكان الطفل يجلس في المقلاة كغلام وسيم، جذل، ومشرق، وفي أتم عافية. وكان على رأسه تاج من الدر والحجر الكريم، يحيط خصره حزام فيه سيف. ويمسك بيده اليمنى كتاب صلاة، فيما يقبض بيده اليسرى حزمة مليئة بالسنابل، كان ذلك كله يشع أكثر من النار، لأنه صار ذهباً. فرجع يخبر الشيخ بأن معجزة حدثت، وليسأله عما يفعله، بيد أن الشيخ لم يكن هناك، فقد

Twitter: @ketab_n

مضى خارجاً من المنزل، وقال لأهل الدار: «كلوا طيبا، واحيوا حياتكم التي عشتموها حتى اللحظة، بشرف ورضا. وستنعم قلوبكم الطيبة بالخير من الزرع والأنعام، والبركة والسلام من الرب على أولادكم وأولاد أولادكم. وسيلقاكم ويضيّفكم في دار سماواته».

ثم مضى لوحده تحت ستار الظلام، لا أحد يعلم إلى أين.

Twitter: @ketab_n

سندريلا

في سالف الأزمان، تجمعت فتيات يغزلن حول شق أو صدع عميق في الأرض. وكن يثرثرن ويروين القصص لبعضهن بعض. وبينما هن كذلك، جاء شيخ أبيض اللحية، وقال لهن: «يا بنات! وأنتن تغزلن وتتحدثن، احذرن من الشق، فإذا أسقطت إحداكن مغزلها فيه، فسوف تتحول أمها إلى بقرة». قال هذا الكلام، ومضى. فتعجبت الفتيات من كلامه هذا وتدافعن حول الشق لينظرن ما فيه. وللأسف، أسقطت إحداهن، وهي أجملهن، مغزلها في الصدع. وزهاء المساء، حينما جاءت إلى البيت، رأت بقرة ـ هي أمها ـ أمام باب الدار، فأخرجتها مع الماشية الأخرى لترعى. وبعد مدة من الزمن، تزوج والد الفتاة بأرملة، اصطحبت معها ابنتها إلى بيت زوجها الجديد. عمدت الزوجة الثانية، نكاية بابنة زوجها الأولى لأنها أجمل وأكثر جدية من ابنتها، إلى منعها من الاستحمام، أو تمشيط شعرها، أو تغيير ملابسها. وفي

Twitter: @ketab_n

أحد الأيام، أرسلتها مع الماشية، وأعطتها كيساً مليئاً بنسالة الكتان، وأخبرتها أنه «إذا لم تغزلي هذه النسالة اليوم، أو إذا لم تكوّريها، فالأفضل ألا تأتي إلى البيت في المساء، إذ سوف أقتلك».

فكان هذا محزنا لهذه الفتاة المسكينة، التي عليها متابعة الماشية، والحرص كذلك على عدم نشتتها. وبعد الظهر، عندما أقعت الماشية لتجتر الغذاء، ابتدأت تنظر في الكيس لترى كيف تنجز ما كلفت به، لكن عندما رأت أنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً، صارت تبكي. وعندما رأتها البقرة، التي كانت أمها، تبكي، سألتها عن سبب بكائها. فأخبرتها البنت بما جرى معها. عندئذ قالت البقرة لها: «لا تخافي، سأساعدك. سأتناول نسالة الكتان كلها بفمي، وأمضغه، وسيتكوّن الغزل في أذني. وأنت تأخذينه وتكورينه، وستنهين العمل بالوقت المناسب».

وصار الأمر كما قالت. إذ شرعت تمضغ نسالة الكتان، قطعة وراء قطعة، وتكوّن الغزل في أذنها، والبنت تلفه وتكوّره حتى أنهت عملها. وعند المساء غادرت وذهبت إلى زوجة أبيها، التي دهشت برؤية هذا العمل الكثير كله وقد أُنجز. ثم عمدت زوجة أبيها في المرة الثانية إلى إعطائها عملاً أكبر من السابق ضعفين. وراحت

Twitter: @ketab_n

تغزل حتى الظهر، ثم حتى العصر، عندما كانت الماشية تقعى لتجتر، جاءت البقرة إليها وراحت تمضغ نسالة الكتان، وكان الغزل يخرج من أذنها، والبنت تلفه على شكل كرة، فأنهت العمل في الوقت المناسب. وعند المساء ذهبت إلى البيت وسلّمت زوجة أبيها نسالة الكتان كلها وقد غُزلت ولُفّت. فدهشت لرؤية هذا العمل كله وقد تم. وفي المرة الثالثة أعطتها ما هو أكثر من المرتين السابقتين، وأرسلت ابنتها لتعرف مَنْ الذي يساعدها. فذهبت ابنتها وتوارت جانباً، ورأت ما يحدث وكيف يحدث أن أتمت الفتاة هذا العمل كله في يوم واحد، ورأت كيف أن البقرة تتناول نسّالة الكتان بفمها، وكيف تخرجه مغزولاً من أذنها، وكيف تلفّه الفتاة وتكوّره. فمضت إلى البيت وأخبرت أمها. ولمّا سمعت الأم هذا من ابنتها، راحت تحرض زوجها على ذبح البقرة. أما هو فسعى بكل السبل إلى إقناعها بعدم ذبح البقرة، لكنه لم يتمكن من ثنيها. وفي نهاية المطاف، عندما رأى أن لا مفر من ذلك، وعدها بذبح البقرة في أحد الأيام. وعندما سمعت البنت بأنهم ماضون لذبح البقرة، راحت تصرخ، وأخبرت البقرة سراً بعزمهم على ذبحها. فقالت البقرة لابنتها: «اهدأي، ولا تبكي! فلو ذبحوني، يجب ألاّ تأكلي البتة من لحمي، وعليك جمع عظامي ودفنها خلف الكوخ. وعندما تقعين في مأزق ما، عليك الذهاب إلى القبر، وسوف تحصلين على المساعدة».

Twitter: @ketab_n

وبعدما سمعت البنت هذا الكلام من أمها، مضت.

وفي أحد الأيام، ذبحوا البقرة، وطبخوا لحمها، وجاءوا به إلى الغرفة، وشرعوا بالأكل. أما الفتاة فهي الوحيدة التي لم تطعم منه شيئاً، حسب ما أوصتها أمها، وجمعت العظام، ومن دون أن يراها أحد، أخذتها ودفنتها خلف الكوخ، حيث أمرت البقرة، أمها. كانت الفتاة تدعى مريم، لكن بمرور الوقت، إذ كانوا يلقون بأعمال الكوخ كلها على عاتقها، أي الكنس وجلب الماء والطبخ وغسل الأواني، أصبحت وسخة وملطخة بالرماد والسخام من فرط العمل في الموقد، ولذلك لقّبتها زوجة أبيها «بيبيليتشكا»، أي سندريلا، ومذاك صاروا ينادونها بهذا الاسم.

وفي أحد أيام الأحد، استعدت زوجة أبيها مع ابنتها للذهاب إلى الكنيسة، لكن قبل أن يخرجن، تناولت طبقاً خشبياً مليئاً بالدخن، وبعثرته على أرضية الكوخ، وقالت لسندريلا: «أنت، سندريلا! إذا لم تلتقطي هذا الدخن، ولم أجد العشاء جاهزاً عندما أعود من الكنيسة، لا تريني وجهك، وإلاّ قتلتك».

ثم خرجت الأم وابنتها. أما سنديريللا المسكينة، فراحت تبكي وتصرخ وهي تنظر إلى كل هذا الدخن: «سأطبخ، وأكنس،

Twitter: @ketab_n

وأفعل كل شيء، فأي مسكينة ستلتقط هذا الدخن كله؟».
وبينما تبكي وتتكلم مع نفسها هكذا، برق فجأة في بالها ما كانت البقرة أخبرتها، في أن تذهب إلى القبر، هناك تحصل على المساعدة في حل مشكلتها.

وهكذا، مضت سندريلا إلى القبر. لكن ماذا رأت هناك؟ لقد وضع على القبر صندوق مفتوح، مليء بكل أصناف الثياب الغالية، وعلى غطائه حطت حمامتان، بيضاوتان كالثلج. فقالتا لها: «يا مريم! اخرجي الملابس وارتديها واذهبي إلى الكنيسة، وسنلتقط نحن الدخن وسنعد العشاء».

فمدت يديها وأخذت الملابس الموضوعة فوق، وكانت من الحرير الخالص والساتان وارتدتها ومضت إلى الكنيسة. وفي الكنيسة سحر الصغير والكبير بجمالها وبثيابها، بخاصة أن لا أحد منهم عرفها أو عرف مَنْ هي وماذا كانت. وكان أكثر مَنْ دهش بها ابن الإمبراطور، حتى أنه لم يتمكن من رفع عينيه عنها. وعندما انتهت الصلاة، انسلت بسرعة من الحشد وانطلقت إلى البيت على عجل، ونزعت ثيابها حالاً، ووضعتها في الصندوق فاختفى الصندوق من فوره. وتوجهت إلى الموقد، فماذا رأت؟ لقد لُمَّ الدخن كله، وأُعد

Twitter: @ketab_n

العشاء ـ باختصار، لقد أنجز كل شيء! وبعد وقت قصير جاءت زوجة أبيها مع ابنتها من الكنيسة، ورأت كل شيء في نصابه، فأخذها الذهول.

وفي يوم الأحد اللاحق، عندما كانت تتأهب للذهاب إلى الكنيسة، تناولت طبقاً كبيراً من الدخن وألقت به على الأرض، وهددت سندريلا بأنها ستقتلها إن لم تلمّه من الأرض و لم تعد العشاء. ومضت زوجة أبيها مع ابنتها إلى الكنيسة، وحملت سندريلا نفسها وتوجهت إلى القبر. فوجدت الحمامتين والصندوق مفتوحاً والملابس بداخله. فأخبرتها الحمامتان بأن ترتدي الملابس وتتوجه إلى الكنيسة، وبأنهما سيلتقطان الدخن ويجهزان العشاء. فتناولت ملابس من الفضة الخالصة وارتدتها ومضت إلى الكنيسة. وسحر بها الصغير والكبير أكثر من السابق، و لم يتمكن ابن الإمبراطور من رفع عينيه عنها ولو للحظة. وحالما انتهت الصلاة، انسلت بسرعة من وسط الحشد وانطلقت مسرعة إلى البيت. وخلعت ملابسها، ووضعتها في الصندوق، فاختفى الصندوق في الحال. وبعد برهة جاءت زوجة أبيها وتطلعت في البيت، كان الدخن قد التقط كله، وأُعد العشاء، وكانت سندريلا عند الموقد. فاندهشت لرؤية هكذا عمل كثير وقد أُنجز.

Twitter: @ketab_n

وفي المرة الثالثة كانت زوجة أبيها تستعد للذهاب إلى الكنيسة، وقبل خروجها، تناولت طبقاً من الدخن أكبر ثلاثة أضعاف من السابقيْن، ونثرته على الأرض، وقالت لسندريلا: «إن لم تلتقطي الدخن كله قبل عودتنا من الكنيسة، وان لم تجهزي العشاء، فاخفي نفسك في مكان ما، ولا تدعي عيني تقع عليك لأنني سأقتلك». ثم ذهبت إلى الكنيسة. وذهبت سندريلا بعدها إلى القبر ووجد الصندوق مفتوحاً والحمامتين فوقه. فأخبرنها أن ترتدي ملابسها وتذهب إلى الكنيسة، وهما سيلتقطان الدخن ويحضران العشاء. فأخذت ملابس من الذهب الخالص، وارتدتها وسارت إلى الكنيسة. وهناك، سحر الناس بروئيتها، لكن ما من أحد عرف مَنْ هي وماذا تكون. ولم يرفع ابن الإمبراطور عينيه عنها البتة، وخطط أن عند انتهاء الصلاة سيلحق بها ليرى إلى أين تذهب. وانتهت الصلاة، فانسلت من وسط الجمع، وأسرعت بالخروج قبل زوجة أبيها، لكن بينما هي تتدافع بين الحشد، فقدت فردة حذائها، فتناوله ابن الإمبراطور. وهربت من بين الجمع بفردة حذاء واحدة، ولمّا وصلت البيت خلعت ملابسها بسرعة كبيرة، ووضعتها في الصندوق، فاختفى الصندوق. وذهبت إلى البيت وتطلعت في الكوخ، وكان الدخن قد التُقِط،

Twitter: @ketab_n

والعشاء قد أُعد، وكل شيء مرتّب في مكانه. فجلست إلى جانب الموقد، و... جاءت زوجة أبيها وتطلعت في الكوخ، فكان كل شيء مرتباً، والدخن مرفوعاً، والعشاء جاهزاً، و لم تجد أدنى خطأ لتؤنبها عليه.

ترك ابن الإمبراطور الناس متخفياً، وقد حمل الحذاء معه، وراح من كوخ إلى كوخ يجرّب مقاس الحذاء كي يعثر على صاحبته، وكان أينما يذهب يسأل ويجرب الحذاء على قدم كل فتاة، لكن مقاسه لم يناسب أي واحدة منهن. إذ كان كبيراً جداً على بعضهن، وعلى بعضهن الآخر صغيراً جداً، وعلى أخريات ضيقاً للغاية، وعلى غيرهن واسعاً للغاية. وفي النهاية، وصل إلى كوخ سندريلا. وما إن رأته زوجة أبيها، حتى دفعت بسندريلا تحت طشت لهم. فسأل عما إذا كانت في البيت فتاة. فردت عليه أن نعم؛ وجاءت بابنتها إليه. فراح يجرب الحذاء عليها، لكن الحذاء لم تسمح لها حتى بإدخال أصابعها فيها. عندها سأل عما إذا كانت هناك فتاة أخرى في البيت، فأخبرته أن ليس فيه سواها. وهنا طار الديك وحط على الطشت، وبينما تقول لابن الإمبراطور أن لا فتاة غيرها في البيت، صاح الديك «كوكـ ... ـا ... دوودل ...

Twitter: @ketab_n

دووو! فتاة جميلة تحت الطشت!»، فصاحت به زوجة الأب «شووو! ليت النسور خطفتك!»[1] بيد أن ابن الإمبراطور، لمّا سمع الديك يقول هذا، مضى ورفع الطشت، فرأى أمامه الفتاة التي قد شاهدها في الكنيسة بتلك الملابس الجميلة، وكانت بفردة حذاء واحدة. فجرب الحذاء عليها، فدخل رجلها وكان بالضبط كما فردة الحذاء الأخرى. فأمسكها ابن الإمبراطور من يدها واصطحبها إلى القصر. وتزوج بها، وأنزل العقوبة بزوجة أبيها على خبث قلبها.

Twitter: @ketab_n

(1) كثيراً ما تكون النسور رسلاً خارقة في الحكايات البلغارية (المؤلف).

التفاحات الذهبية والطواويس التسعة

كان ذات مرة إمبراطور له ثلاثة أولاد، وفي فناء قصره شجرة تفاح ذهبية، تزهر وتثمر في كل ليلة، إلا أن أحدهم دأب على سرقة ثمارها، وعجز الإمبراطور تماماً عن كشف ذاك الذي يسرقها. وفي إحدى المرات، كان الإمبراطور يتحدث مع أولاده، فقال لهم: «لا أعلم كيف يختفي ثمر شجرة تفاحنا». فأجابه ابنه الأكبر: «سأمضي الليلة لأنظر من الذي يأخذها».

وعندما حلّ الليل، فعل الابن الأكبر ما قاله: خرج وتمدد تحتها. وعندما بدأت التفاحة تثمر في أثناء الليل، داهمه النعاس فنام، وعندما استيقظ في الفجر نظر حوله ـ أين التفاح؟ لقد أخذ! وعندما رأى ذلك، ذهب وقصّ على أبيه ما حدث معه بالضبط.

ثم قال الابن الثاني لأبيه: «سأذهب الليلة لأرى، لعلي أعرف من الذي يأخذها». وسهر هو أيضاً مثل الأول. وفي وقت بدء إثمار التفاح تقريباً داهمه النوم. وعندما استيقظ في الصباح، أين التفاح؟ لقد أخذ! والآن جاء دور أصغر الإخوة. وذهب في

Twitter: @ketab_n

المساء تحت شجرة التفاح، ووضع أريكة، واضطجع، ثم أخلد إلى النوم. وزهاء منتصف الليلة، عندما بدأ إثمار شجرة التفاح، استيقظ وراح يتطلع إلى الشجرة. وصارت تثمر، فأنارت الباحة كلها بتألق ثمارها. وفي الحال، رفرفت في الهواء تسعة طواويس، وحطت ثمانية منها على شجرة التفاح، أما التاسع فنزل على الأرض بجانب الأريكة، وما إن لامس الأرض حتى تحول إلى فتاة متألقة الجمال كشمس مشرقة. وتحدثا مع بعضهما فيما كانت الثمانية الأخرى تنهب الشجرة، وعند حلول الفجر، شكرته على التفاح، فيما راح هو يلتمس منها أن تبقي واحدة له. فأعطته اثنتين، واحدة له، والأخرى يأخذها إلى أبيه - وحولت نفسها إلى طاووس،وطارت بعيداً، تتبعها الثمانية الأخرى. وفي الصباح، نهض الأمير، وأخذ إحدى التفاحتين إلى أبيه، الذي لم يعرف ماذا يفعل من شدة الفرح، وأوصاه ألاّ يتوقف في ذلك.

وفي المساء التالي، مضى الأمير ثانية ليحرس شجرة التفاح، وما إن وصل إلى الباحة حتى اضطجع كما فعل من قبل، وراح يراقب الشجرة في الليل أيضاً. وفي الصباح، حمل لأبيه تفاحة أخرى. ومضى على هذا الحال لبضعة أيام، حتى ابتدأ أخواه يحسدانه، لأنهما لم يتمكنا من حراستها، فيما نجح هو في

Twitter: @ketab_n

ذلك. ولم يتوصلا إلى حيلة يكشفن بها الطريقة التي يحرس بها شجرة التفاح. لذا فقد سعيا إلى ساحرة عجوز، فوعدتهما بإيجاد طريقة لمعرفة كيف أن أخاهما الأصغر يحرس شجرة التفاح. وعند اقتراب المساء، حينما كان الأمير الصغير يستعد للذهاب لحراسة الشجرة، تسللت الساحرة الملعونة ومضت قبله، وتمددت تحت الأريكة، وأخفت نفسها. ثم جاء الأمير، وتمدّد من دون أن يعرف أن العجوز تحت الأريكة، ونام كما فعل في المرات السابقة. وقرابة منتصف الليل، بُعيْد استيقاظ الأمير، جاءت الطواويس التسعة، وحطت ثمانية منها على الشجرة، والأخير على الأرض بجانب أريكته، وحول نفسه إلى فتاة، وراحا يتحدثان. وبينما يتسامران، نهضت الساحرة العجوز الملعونة بهدوء، واقتطعت شعرة من شعر الفتاة الطويل. وما إن شعرت الفتاة بذلك، حتى قفزت جانباً وحوّلت نفسها إلى طاووس، وطارت بعيداً، وتبعتها الثمانية الأخرى.

وعندما رأى الأمير ذلك، هبَّ من أريكته صائحاً: «ما هذا؟»، ولمح بسرعة العجوز، فأمسك بها وجرّها من تحت الأريكة، وعندما حل الصباح، أمر أن توثق في أعقاب حصانين وتمزق إرباً. وما عادت الطواويس تأتي إلى شجرة التفاح، فاغتمّ الأمير لذلك كثيراً، وصار يبكي ويزداد حزنه يوماً بعد

Twitter: @ketab_n

يوم. وفي نهاية المطاف، عزم على البحث عنها في الأرجاء، فتوجه إلى أبيه يخبره بما نوى عليه، فحاول والده تهدئته قائلاً: «ابق يا ولدي! سأجد لك فتاة أخرى في إمبراطوريتي، فتاة كما ترغب وتتمنى».

لكن جميع محاولات الإمبراطور ذهبت سدى، فالأمير لم يتبع يقتنع بكلامه، وراح يستعد للمضي في طريقه، واصطحب معه أحد خدمه، وانطلق في الأرجاء بحثاً عن الفتاة الطاووس. وبعدما تنقل طويلاً، وصل إلى بحيرة، في وسطها يقوم قصر منيف، وفي القصر إمبراطورة مسنّة، لديها ابنة واحدة. فذهب إلى الإمبراطورة المسنّة، فسألها أن تخبره عن الفتيات التسع، وما إذا كانت تعرف شيئاً عنهن، فردت عليه المرأة أنها تعرفهن، وبأنهن يأتين يومياً للاغتسال في البحيرة. وبعدما قالت له ذلك، راحت تحاول إقناعه بأن «لا تهتم يا ولدي بالفتيات التسعة. فلدي فتاة جميلة، وثروة طائلة، وهذا كله سيكون لك».

لكن ما إن سمع الأمير بمكان الطواويس، حتى كفّ عن الإنصات إلى كلامها، وفي الصباح أمر خادمه بأن يجهز الخيول للذهاب إلى البحيرة. وقبل أن ينطلقا إلى البحيرة، دعت العجوز خادمه ورشته وأعطته صفارة صغيرة، قائلة له: «عندما يقترب

Twitter: @ketab_n

وقت مجيء الطواويس، راقب سيدك بحذر وانفخ بالصفارة خلف عنقه، وسيغط في النوم من ساعته، ولن يرى الفتيات».

فامتثل الخادم الملعون لها، وأخذ الصفارة، ونفذ ما قالت له العجوز. وعندما وصلا إلى شاطئ البحيرة، حسب الوقت الذي يحتمل أن تأتي فيه الطواويس، ونفخ بالصفارة خلف عنق سيده، فخرّ هذا نائماً في الحال كأنه ميت. وما هي إلا ثوان حتى وصلت الطواويس، ونزلت الفتيات الثماني في البحيرة، بينما جثت التاسعة على حصانه، وراحت تحاول إيقاظه: «انهض يا عصفوري الصغير! انهض يا حملي! انهض يا يمامتي!». لكنه لم يكن يسمع شيئاً، فقد كان نائماً كالميت. وعندما أنهت الطواويس استحمامها، طارت جميعاً، واستيقظ الأمير بعدئذ، وسأل خادمه: «ما هذا؟ ألم يأتين؟». فرد الخادم: «بلى، لقد جئن»، وأخبره كيف نزلت الطواويس الثمانية في البحيرة، والتاسعة على حصانه، وبأنها حاولت إيقاظه. ولمّا سمع الأمير التعيس بهذا من خادمه، أوشك على قتل نفسه من فرط الألم والغضب. وفي صباح اليوم التالي، زارا شاطئ البحيرة مرة أخرى، لكن خادمه الملعون حسب الوقت ونفخ بصفارته خلف عنقه، فغط من ساعته نائماً كالميت. وما هي إلا لحظات بعد نومه، حتى

Twitter: @ketab_n

جاءت الطواويس التسعة، ونزلت ثمانية منها في البحيرة، فيما حطت الفتاة/ الطاووس التاسعة على حصانه، وراحت تحاول إيقاظه: «انهض يا عصفوري الصغير! انهض يا حملي! انهض يا يمامتي!»، لكنه كان نائماً كالميت، فلم يسمع شيئاً.

وعندما لم تفلح في إيقاظه، وآن أوان رحيل الطواويس، التفتت تلك التي كانت تحاول إيقاظه، وقالت لخادمه: «عندما يستيقظ سيدك، أخبره أن غداً سيكون بإمكانه رؤيتنا، لكن بعد ذلك، لن يرانا البتة».

قالت هذا الكلام وطارت، وتبعتها الثماني الأخرى.

وما إن طرن بعيداً، حتى استيقظ الأمير، وسأل خادمه: «ألم يأتين؟» فأخبره: «لقد جئن، ونزلت ثمانية في البحيرة، والتاسعة على حصانك، وراحت تحاول إيقاظك. لكنك كنت تغط في نوم عميق، وقبيل مغادرتها أخبرتني أن أبلغك أنك تستطيع رؤيتها هنا غدا فقط». وحينما سمع الأمير هذا، كاد أن يموت حزناً، وحارَ ماذا يفعل بنفسه. وفي اليوم الثالث استعد للذهاب إلى البحيرة، وامتطى حصانه، وتوجه إلى الشاطئ، وكي لا يغط في النوم، جعل حصانه يتحرك باستمرار. لكن خادمه الملعون، وبينما هو يتبعه، حسب الوقت، ونفخ بصفارته خلف عنقه،

Twitter: @ketab_n

فمال من فوره على مقدمة حصانه وغط في النوم. وما إن خرّ نائماً، حتى رفرفت الطواويس التسعة، فنزلت ثمانية منها في البحيرة، والتاسعة على حصانه، وجهدت في إيقاظه: «انهض يا عصفوري الصغير! انهض يا حملي! انهض يا يمامتي!»، لكنه كان نائماً كالميت، فلم يسمع شيئاً. بعدئذ، عندما كن على وشك الرحيل بعيداً، استدارت تلك التي حطت على حصانه، وقالت لخادمه: «عندما يستيقظ سيدك، أخبره أن يطوي أسفل الساق على أعلاه، وعندها سيراني[1]». ثم حلّقت، وحلقت وراءها الثماني الأخريات.

وبعدما طرن بعيداً، استيقظ مرة أخرى، وسأل خادمه: «ألم يأتين؟». فرد عليه: «بلى، والتي حطت على فرسك أخبرتني أن أبلغك بطي أعلى الساق على أسفله، وعندها ستراها». عندما سمع الأمير بهذا، استل سيفه، وقطع رأس الخادم. وبعد هذا، انطلق برحلته وحيداً. وبعدما تنقل زمناً طويلاً، وصل في الغسق إلى كوخ ناسك، ونزل فيه ليقضي الليل. وفي المساء سأل الأمير الناسك: «أيها الجد، أسمعت عن تسعة طواويس ذهبية؟».

فأجابه الناسك: «نعم يا ولدي، محظوظ أنت بالمجيء إليّ

(1) يقول فراتسلاف «لم افهم هذا التعبير، الذي يقلبه الخادم بعدئذ. علاوة على ذلك، ليس له تأثير في مسار الحكاية». (م)

Twitter: @ketab_n

وسؤالي عنهن. فهن لسن ببعيدات من هنا، ليس أكثر من مسير نصف يوم من هنا إليهن».

وفي الصباح، عندما استعد الأمير ليعادر بحثاً عنهن، جاء الناسك ليودعه، وقال له «سر إلى اليمين، وستجد بوابة كبيرة. وعندما تدخل من البوابة، انعطف يميناً وسر مستقيماً إلى مدينتهن، ففي تلك المدينة قصرهن».

ومضى بطريقه حسب ما قال له الناسك، وسار حتى وصل إلى تلك البوابة، ثم انعطف إلى اليمين، فلمح المدينة قائمة فوق تل. ولمّا رأى المدينة، سرّ كثيراً. وحينما دخل المدينة سأل عن مكان قصر الطواويس التسعة. فدلّوه عليه. وعند بوابة القصر أوقفه الحرس، وسألوه من أي بلد هو ومن يكون. فأخبرهم الأمير بكل شيء، من أي بلد هو ومن يكون. بعدئذ مضى أحد الحراس ليعلم الإمبراطورة عنه. وعندما سمعت بذلك، ارتبكت أنفاسها، ووقفت أمامه بهيئة فتاة، وأمسكت بيده، واصطحبته إلى الطابق العلوي. وهناك فرح الاثنان ببعضهما، وفي يوم أو يومين تزوجا.

Twitter: @ketab_n

بعد انقضاء بضعة أيام على زواجهما، غادرت الإمبراطورة في رحلة، وبقي الأمير وحيداً. وعندما كانت تستعد للمغادرة، أخرجت مفاتيح الأقبية الاثني عشر وأعطتها له، وقالت له: «افتح الأقبية جميعها، لكن لا شأن لك بالثاني عشر». ومضت في سبيلها. عندما بقي الأمير وحده في القصر، فكر في نفسه قائلاً: «ما يعني أن عليَّ فتح الأقبية كلها، وألاّ أفتح الثاني عشر؟ ليتمجد الرب العظيم! ما يمكن أن يكون فيه؟». وراح يفتحها الواحد تلو الآخر. ووصل إلى الثاني عشر، ففي البداية لم يرد فتحه، لكن لأنه لم يكن مشغولاً بشيء، ابتدأ عقله يوسوس له: «ما يمكن أن يوجد في هذا القبو حتى أبلغتني بعدم فتحه؟». وفي النهاية عمد إلى فتحه أيضاً، فوجد في وسطه برميلاً خشبياً مقيداً بأطواق حديدية، وصوتٌ يسمع منه يقول: «أتوسل إليك يا أخي، أنا عطشان وأريد ماء، فأعطني قدح ماء». ولمّا سمع هذا الصوت، راح الأمير وجلب قدح ماء، وسكبه من السدادة، وحالما سكبه، انكسر أحد الأطواق الحديدية. عندها صاح الصوت: «أعطني كأساً أخرى من الماء، أنا عطشان».

فناوله كأس ماء، وما إن فعل حتى انكسر طوق آخر من البرميل. وصاح الصوت مرة أخرى: «أنا عطشان، أعطني يا أخي، قدح ماء آخر».

Twitter: @ketab_n

فتناول الأمير قدحاً آخر وصبه من السدادة، لكن ما إن أنهى صبه، حتى تحطم الطوق الثالث عن البرميل، وتطاير البرميل شظايا، وطار منه تنين، وقابل الإمبراطورة وهي في طريق عودتها، فخطفها. وبعد أن حدث هذا، جاء الخدم ليبلغوا سيدهم أن تنيناً خطف الإمبراطورة. فاستعد للبحث عنها في الأرجاء. وبعد أن تنقل زمناً طويلاً، وصل إلى أهوار، ولمح سمكة صغيرة خارج الماء، كانت تسعى جاهدة للقفز في المياه، لكن ذلك كان عسيراً عليها. لذا عندما رأت السمكة الصغيرة الأمير، توجهت إليه قائلة: «أتوسل إليك يا أخي أن تفعل بي خيراً: ألقني في الماء، وسأنفعك يوماً ما، فقط خذ حرشفة مني، وعندما تحتاج إليّ، افركها بأصابعك».

عندما سمع ذلك، أخذ حرشفة منها، ورماها في الماء، ووضع الحرشفة في منديله، ومضى في طريقه. وبعدما مسافة قصيرة، لمح ثعلباً عالقاً في شرك. ولمّا رآه الثعلب، ناداه: «أتوسل إليك يا أخي، خلصني من هذا الشرك، وسأنفعك يوما ما، فقط خذ شعرة أو اثنتين من فرائي، وعندما تحتاج إليّ، افركها بأصابعك». فخلصه من الشرك، وأخذ شعرة أو شعرتين من فرائه، ومضى في طريقه. ومضى قدماً في رحلته حتى وصل إلى تل، ووجد غراباً

Twitter: @ketab_n

سقط في شرك مثل الثعلب في ما سبق. وما إن شاهده الغراب حتى صاح به: «أتوسل إليك، كن أخي أيها المسافر، وخلصني من هذا الشرك، وسأنفعك يوما ما، فقط خذ ريشة أو اثنتين مني، وعندما تحتاج إليّ، افركها بأصابعك».

أخذ الأمير ريشة أو اثنتين من الغراب، وخلصه من الشرك، ثم سار في سبيله. وبينما يبحث عن الإمبراطورة، التقى رجلاً، وقال له: «أتوسل إليك يا أخي، أتعرف أين قصر التنين الإمبراطور؟». فدلّه الرجل على الطريق، وأخبره أيضاً عن الوقت الذي يكون فيه في البيت، حيث ربما يجده فيه. فشكره الأمير، وقال له «وداعاً». ثم مضى، وراح يقترب شيئاً فشيئاً من قصر التنين الإمبراطور. ولدى وصوله، وجد حبيبته، وعندما رآها ورأته، سر الاثنان سروراً كبيراً. ثم شرعا يخططان للهرب. وفي النهاية اتفقا على سرج حصانيهما وتهيئتهما للانطلاق. فأسرجاهما، وركباهما، وانطلقا. وعندما سارا، وصل التنين وتطلع في المكان، ولم يجد الإمبراطورة. فقال التنين لحصانه: «والآن ما علينا أن نفعل؟ هل علينا الأكل والشرب، أم اللحاق بهما؟». فرد الحصان: «لا تزعج نفسك، كُل واشرب أولاً».

وعندما تناول التنين غذاءه، امتطى حصانه وجرى وراءهما،

Twitter: @ketab_n

وما هو إلا وقت حتى لحق بهما وخطف الإمبراطورة، وقال للأمير: «اذهب في أمان، فقد سامحتك هذه المرة، لأنك أعطيتني ماء في القبو، لكن لا تأتي إلى هنا مرة أخرى إذا كانت حياتك غالية عليك».

وتسمّر الأمير المسكين وكأن صاعقة ضربته، ثم سار قليلاً، لكنه لم يتمكن من التغلب على قلبه، فعاد إلى قصر التنين. وهناك وجد الإمبراطورة تبكي. ورأى أحدهما الآخر والتقيا، وراحا يتشاوران في طريقة يهربان بها. ثم قال الأمير للإمبراطورة: «عندما يأتي التنين، اسأليه من الذي باعه الحصان، وأخبريني كي أتمكن من الحصول على واحد مثله، ونتمكن من الهرب».

قال هذا لها ومضى، كي لا يجده التنين حينما يعود. وعندما جاء التنين، أخذت الإمبراطورة تلاطفه وتتقرب إليه، ثم قالت له: «أي حصان سريع لديك! من الذي باعه إليك؟ اخبرني، أرجوك».

فأجابها: «اشتريته من مكان لا يمكن لأي أحد أن يشتري منه. فعلى إحدى التلال تعيش عجوز لديها اثنا عشر حصاناً في الإصطبل، حتى إنك لا تعرفين أيهما أفضل من الآخر. وهناك واحد في الزاوية يبدو هزيلاً، لكنه أفضلها جميعها، وهو شقيق

Twitter: @ketab_n

حصاني: وهذا يستطيع الطيران إلى السماء. وأي أحد يريد الحصول على حصان من العجوز عليه أن يخدمها ثلاثة أيام. إذ لدى العجوز فرس لديها مهر، وأي أحد يتمكن من حراسة الفرس بنجاح لمدة ثلاثة أيام، تعطيه العجوز الخيار في أخذ أي حصان يريد. وكل من يلتزم بحراسة الفرس ويخفق في حراستهما لثلاثة أيام وثلاث ليال، يفقد حياته».

وفي اليوم التالي، مضى التنين، وجاء الأمير. وأخبرته الإمبراطورة بما قال التنين. ومضى الأمير متجهاً إلى التل حيث تقيم العجوز. وعندما وصل ودخل بيتها، حياها قائلاً: «نهاراً طيباً أيتها العجوز!». فردت عليه: «حياك الرب يا ولدي!»، ثم قالت له: «ما الذي جاء بك إلى هنا يا ولدي؟».

فرد عليها: «أردت أن أخدمك».

فقالت له «أحسنت يا ولدي. عندي فرس لديها مهر. ولو نجحت في حراستها ثلاثة أيام، سأعطيك أحد هذه الخيول الاثني عشر التي أملكها لتأخذك أينما تشاء، لكن إن أخفقت في حراستها، فسأقطع راسك».

ثم اصطحبته إلى الباحة حيث انتصبت أعمدة في الأرض،

Twitter: @ketab_n

واحد بجانب آخر، وعلى كل واحد منها غُرز رأس بشري، وبقي عمود واحد منها فقط فارغاً، وكان هذا العمود يصيح باستمرار: «أيتها العجوز، أعطني رأساً!».

وبعدما أرته العجوز كل شيء، قالت له: «اعلم أن كل هؤلاء تعهدوا بحراسة الفرس ومهرها، لكنهم لم يفلحوا».

لذا ارتعب الأمير، ولم يكن رعبه بلا سبب. وعند العصر، امتطى الفرس، وراح يعدو بها صاعداً التلة ونازلاً منها، والمهر يجري وراءها. واستمر على هذا الحال حتى منتصف الليل، وحينئذ، وعلى الرغم من أنه لم يرد النوم مطلقاً، إلاّ أن النوم تسلل إليه فنام. وعندما استيقظ في الفجر، كانت ذراعاه يلتفان حول جذع مقطوع بدلاً من الفرس، لكنه كان يمسك بالرسن بيده. ولما رأى الرجل المسكين هذا الحال، أصابه الدوار من الرعب، فأخذ يبحث عن الفرس، وبينما هو يبحث عنها، جاء إلى بقعة ماء واسعة، ولمّا وصل إلى الماء، تذكر السمكة الصغيرة، ففتح منديله وأخذ الحرشفة وفركها بأصابعه. فقفزت السمكة الصغيرة من الماء، وتمددت أمامه، وقالت له: «ما الأمر أيها الأخ المختار؟».

فرد عليها: «إن فرس العجوز قد فرّت مني، ولا أعرف أين هي».

Twitter: @ketab_n

فقالت السمكة: «إنها هنا بيننا، لقد حولت نفسها إلى سمكة، ومهرها إلى سمكة صغيرة، اضرب بالرسن على صفحة الماء وناد «بيت! بيت! يا فرس العجوز!» فضرب صفحة الماء بالرسن، ونادى «بيت! بيت! يا فرس العجوز!» وحولت نفسها على الفور إلى فرس ثانية، و... بُب! صارت على حافة الماء أمامه! فوضع فيها الرسن وركبها، و... تروووت! ...تروووت! ووصل عند المرأة العجوز. ولما جاء بالفرس إليها، أعطته المرأة العجوز غاءه، وقادت الفرس إلى الإصطبل، ووبخت الفرس قائلة: «لِمَ لم تذهبي بين السمك، ألا تصلحين لشيء يا حقيرة؟».

فردت الفرس: «كنت بين السمك، لكنهم أخبروه عني، لأنهم أصدقاؤه».

فقالت العجوز لها: «اذهبي بين الثعالب».

وفي اليوم الثاني ركب الفرس، وراح يعدو بها صاعداً التل ونازلاً منه، والمهر يجري وراءها. وبقي على هذا الحال حتى منتصف الليل. وحوالي منتصف الليل، غالبه النوم فنام على ظهر الفرس. وعندما استيقظ عند الفجر، كانت ذراعاه تلتفان حول جذع، لكنه يمسك بالرسن بيده. وعندما رأى هذا، قفز ثانية وانطلق بحثاً عنها. وبينما يبحث، جاء في باله ما قد قالته العجوز

Twitter: @ketab_n

إلى الفرس عندما قادتها إلى الإصطبل. فأخرج شعر الثعلب الملفوف بالمنديل، وفركه بأصابعه، وفي الحال قفز أمامه، وقال له: «ما الأمر أيها الأخ المختار؟».

فرد عليه «هربت فرس المرأة العجوز».

فقال الثعلب: «إنها هنا بيننا، لقد حوّلت نفسها ثعلباً، والمهر جرو ثعلب. اضرب بالرسن على الأرض، وناد «بيت! بيت! يا مهر العجوز!» فضرب ونادى، فوثبت الفرس أمامه. فأمسك بها ووضع الرسن بها، وركبها، وانطلق إلى بيت العجوز. وعندما جاء بها إلى البيت، أعطته العجوز غذاءه، وقادت الفرس إلى الإصطبل، وقالت لها: «لماذا لم تذهبي بين الثعالب، ألا تصلحين لشيء أيتها الحقيرة؟».

فردت الفرس: «كنت بينهم، لكنهم أصدقاءه، وأخبروه عني».

فقالت العجوز «اذهبي بين الغربان».

وفي اليوم الثالث ركب الأمير مرة أخرى الفرس، وراح يعدو بها صاعداً نازلاً، والمهر يركض وراءها. واستمر على هذا الحال حتى منتصف الليل. وزهاء منتصف الليل، أخذه النعاس، فنام،

Twitter: @ketab_n

واستيقظ عند الفجر، لكن ذراعيه كانتا تلتفان حول جذع، ويده تمسك بالرسن. وحالما رأى هذا، وثب واندفع باحثاً عن الفرس، وبينما يبحث عنها، جاء في باله ما قالته العجوز في اليوم السابق عندما وبّخت الفرس. فأخرج المنديل وتناول ريشات الغراب، وفركها بين أصابعه، و... بُب! صار الغراب أمامه، فقال له: «ما الأمر أيها الأخ المختار؟».

فرد الأمير «هربت فرس العجوز، ولا أعرف أين هي».

فأجاب الغراب: «إنها هنا بيننا، لقد حولت نفسها غراباً، والمهر فرخ غراب. لوح بالرسن في الهواء، وناد «بيت! بيت! يا فرس العجوز!»، فلوح بالرسن في الهواء وصاح «بيت! بيت! يا فرس العجوز!»، فحولت نفسها من غراب إلى فرس، كما كانت قبلاً، وجاءت أمامه. فوضع الرسن بها وركبها، وراح يعدو بها والمهر يتبعها، إلى بيت العجوز. فأعطته العجوز غذاءه، وأمسكت بالفرس وقادتها إلى الإصطبل، وقالت لها: «قلت لك بين الغربان، ألا تصلحين لشيء يا حقيرة؟».

فردت الفرس: «كنت بينهم، لكنهم أصدقاؤه، فأخبروه عني».

بعدئذ عندما خرجت العجوز، قال لها الأمير: «حسن، أيتها العجوز، لقد خدمتك بشرف، والآن أطلب منك ما اتفقنا عليه».

Twitter: @ketab_n

فردت العجوز: «يا ولدي، ما اتفقنا عليه ستحصل عليه. هنا اثنا عشر حصاناً، فاختر ما يعجبك منها».

فرد عليها: «ولماذا أنتقي واختار؟ أريد ذلك الذي في الزاوية، فليس من حصان أفضل منه بنظري».

فأخذت العجوز تحاول ثنيه عن خياره هذا قائلة: «ولِمَ تختار ذلك النحيل وهناك من الخيول ما هو أفضل منه؟». لكنه أصر على هذا وقال لها: «أعطني الذي طلبته منك، وكما اتفقنا».

فاستدارت العجوز بعنف، ومن دون مزيد من الضجة وأعطته الذي طلبه. فامتطاه، و«مع السلامة، أيتها العجوز!» وردت عليه «إلى اللقاء يا ولدي!». وعندما سار به إلى غابة وولج فيها، تألق كالذهب. وبعدئذ، عندما ركبه وأطلق ساقيه للريح، طار، وحلق كطير، وفي لحظة وصل إلى قصر التنين. وما إن دخل الباحة، حتى دعا الإمبراطورة إلى التهيؤ للطيران. ولم يطل بها الوقت حتى جهزت، وركب الاثنان على الحصان وانطلقا. ولم يمض وقت طويل على طيرانهما عندما جاء التنين، وتطلع في المكان، فلم يجد الإمبراطورة. فقال لحصانه: «أنأكل ونشرب، أم نلاحقهما؟».

فرد عليه الحصان: «سواء أكلت أم لا، أو شربت أم لا، ولاحقتهما أم لا، فلن تصبهما».

Twitter: @ketab_n

عندما سمع التنين هذا الكلام، ركب الحصان في الحال، وانطلق في إثرهما. ولمّا أدرك الأمير والإمبراطورة أنه يلاحقهما، ارتعبا خوفاً، فحثا حصانهما على المضي أسرع، لكن الحصان أجابهما: «لا تخافا البتة، لا حاجة للإسراع».

وجاء التنين تروووت... تروووت، ونادى الحصان الذي يركبه على الحصان الذي يحمل الأمير والإمبراطورة: «أيها الأخ المبارك، انتظر! فسينقطع نفسي من اللحاق بك».

فرد الآخر: «خطأ من هذا، إذا كنت مجنوناً بهذا النحو حتى تحمل على ظهرك ذلك الشبح؟ شبّ وارمه على الأرض، واتبعني».

عندما سمع حصان التنين هذا الكلام، رفع رأسه وقفز ورفع قوائمه الخلفية، وأسقط التنين بشدة على صخرة. فتمزق التنين إرباً، ولحق حصانه بالأمير والإمبراطورة. فأمسكت به الأميرة واعتلته، ووصلا بأمان وسلامة إلى ديار الإمبراطورة، وحكما بشرف طوال حياتهما.

Twitter: @ketab_n

لسان الحيوانات

كان يعمل لدى أحد الأشخاص راع يخدمه بصدق وإخلاص لسنوات عدة. وفي إحدى المرات، وبينما الراعي يسير وراء الأغنام، سمع صفيراً على التل، ومن دون أن يتبين ما هو، سار ليرى. وعندما وصل إلى المكان، وجد حريقاً هائلاً وفي وسطه ثعبان يصيح بحدة.

ولمّا شاهد هذا، انتظر ليرى كيف يتصرف الثعبان، فيما يشتعل كل ما حوله، والنيران تقترب منه كثيراً. وعندما رآه الثعبان، صرخ به: «أيها الراعي العزيز، اصنع فيَّ معروفاً وأخرجني من هذه النيران».

فأخذت الراعي الشفقة به لكلامه هذه، ومدّ له عصاه، وزحف الثعبان عليها. وعندما خرج لف نفسه على رقبة الراعي. وعندما رأى الراعي هذا، تملكه الرعب، وقال: «إنما أنت حقير! أهكذا تشكرني لإنقاذك؟ صدق المثل القائل: خيراً تصنع، شراً تلق».

Twitter: @ketab_n

فأجابه الثعبان: «لا تخف، لن أسيء إليك، خذني فقط إلى أبي، فأبي إمبراطور الثعابين».

فالتمس الراعي منه العفو، واعتذر قائلاً: «لا أستطيع حملك إلى أبيك، فما عندي أحد أتركه ليرعى أغنامي».

فقال الثعبان: «لا تقلق على أغنامك، فلن يصيبها شيء، احملني فقط إلى أبي، وعُد سريعاً».

ولأنه لم يجد بيده حيلة، أسلم أمره وسار حول التل. وعندما اقترب من باب البيت، الذي لم يكن شيئاً سوى ثعابين متشابكة، توجه إليه، فصفّر الثعبان الذي كان ملتفاً حول رقبته، فانحلت الثعابين الملتفة على بعضها على هيئة باب، وفسحت الطريق لهما كي يدخلا. وما إن دخل الراعي والثعبان القصر، حتى صاح الثعبان بالراعي: «توقف! دعني أخبرك شيئاً: عندما تدخل إلى قصر أبي، سيعدك بإعطائك ما ترغب فيه، من ذهب وفضة، فلا تقبل أي شيء، واطلب منه أن يعطيك لساناً تستطيع به فهم كلام الحيوانات كلها. ولن يعطيك هذا بسهولة، لكن في نهاية المطاف سيفعل».

وسار الراعي في قصر والد الثعبان، وما إن رآه أبوه حتى ذرف

Twitter: @ketab_n

الدمع، وسأله: «هيه، يا ولدي! أين كنت لغاية الآن؟». فأخبره بكل ما جرى معه، وكيف أنقذه الراعي. فالتفت إمبراطور الثعابين إلى الراعي، وقال له: «تعال يا ولدي، ماذا تريد مني أن أعطيك مكافأة على إنقاذك ابني؟».

فرد عليه الرعي: «لا شيء غير أن تعطيني لساناً يمكنني من فهم كلام الحيوانات كلها».

فقال له إمبراطور الثعابين: «ليست هذه هدية تناسبك، يا ولدي، لأنني إن أعطيتك شيئاً من هذا القبيل فسوف تخون نفسك بحضور شخص ما بمفاخرتك بهذا، وعندها ستموت في الحال، اطلب شيئاً آخر».

فرد الراعي: «لا أرغب في شيء غير هذا. فان أردت إعطائي إياه، حسن، وان لم تعطنيه، فمع السلامة».

واستدار ليغادر، لكن إمبراطور الثعابين صاح به: «ابق! ارجع! إذا طلبت هذا فتعال، فسأعطيك إياه. افتح فمك».

ففتح الراعي فمه، فبصق إمبراطور الثعابين فيه، وأخبره أن يبصق هو بفمه. وهكذا بصق كل واحد منهما ثلاثاً بفم الآخر.

Twitter: @ketab_n

وبعد هذا، قال إمبراطور الثعابين للراعي: «الآن لديك اللسان الذي تمنيت، امض، مع السلامة! لكن غير مسموح لك إخبار أي أحد بذلك، لأنك إن فعلت، فستموت. وأنا أقول لك الحقيقة».

وغادر الراعي. وبينما يسير حول التل، فهم حديث الطيور، وكل كلام الكائنات في العالم. وعندما وصل إلى أغنامه، وجدها تامة العدد، فجلس ليرتاح. لكن ما كاد يتمدد على الأرض، حتى جاء غرابان، وحطا على شجرة قريبة منه، وأخذا يتحدثان بلغتهما: «لو كان ذلك الراعي يعرف أن بجانب ذلك الحمل الأسود سرداب مليء بالفضة والذهب مدفون في الأرض، لراح وأخذ ما فيه».

وحالما سمع هذا، ذهب وأخبر سيده، وجلب عربة، وكسرا باب السرداب، وأخرجا محتوياته الثمينة. وكان سيده رجلاً قويماً، فقال له: «حسن، يا ولدي، هذا كله لك، الرب أعطاه لك. اذهب واشتر بيتاً، وتزوج، واهنأ بعيشك».

فأخذ الراعي الأموال ومضى واشترى بيتا وتزوج وعاش عيشة جدّ هانئة. وبعد وقت قصير، صار الراعي غاية في الثراء حتى إن ما من أحد فاق ثراءه لا في قريته ولا في القرى المجاورة. وصار يعمل لديه رعاة أغنام، ورعاة بقر، ورعاة خنازير، وسائسو خيول، وكان كل شيء على أحسن ما يرام. وفي إحدى

Twitter: @ketab_n

المرات، أمر الراعي زوجته في عشية سنة جديدة أن تشتري من أحسن الشراب، وكل المستلزمات المطلوبة، وان يذهبا في الصباح اللاحق إلى ماشيته، يحملان معهما كل ذلك إلى الرعاة، كي يحتفلوا ويستمتعوا هم أيضاً. فأطاعته زوجته، ونفذت كل ما أمرها زوجها به.

وفي اليوم اللاحق، استيقظا واستعدا، وخرجا. وعندما وصلا إلى الماشية، قال السيد لرعاته: «يا شباب، تجمعوا واجلسوا وكلوا واشربوا حتى تشبعوا، وسأحرس أنا الماشية الليلة».

وتجمع الرعاة، فيما ذهب هو إلى النوم بالقرب من الماشية. وبعد وقت، في أثناء الليل، بدأت الذئاب تعوي وتتحدث بلغتها، والكلاب تنبح وتتحدث بلغتها. أما الذئاب فقالت: «أتمقدورنا الاستيلاء على واحدة من هذه الماشية الصغيرة؟». فأجابت الكلاب بلغتها: «تعالوا، لعلنا نملأ نحن أيضاً بطوننا باللحم».

لكن كان من بين الكلاب كلب عجوز، لم يبق من أسنانه سوى اثنين. فتحدث هذا الكلب ورد على الذئاب: «أقسمُ بالوفاء، ما دامت هذان السنان باقيين، لن تتمكنوا من الاقتراب وأذية سيدي».

وفي الصباح، عند طلوع الفجر، دعا السيد رعاته، وقال

Twitter: @ketab_n

لهم أن يقتلوا الكلاب كلها باستثناء الكلب العجوز. فراح الخدم يستعطفونه: «لا تفعل يا سيدي، ولماذا؟ فهذا إثم».

لكنه قال لهم: «افعلوا ما آمركم به وحسب».

بعدئذ ركب هو وزوجته خيليهما ومضيا. وكانت زوجته تركب على فرس وهو على حصان. وبينما يسيران، سبق حصان السيد فرس الزوجة، وأخذ يقول لها بلغته: «امشي أسرع، لماذا تحنين ظهرك؟».

فردت الفرس مدافعة عن بطء سيرها بطريقة جعلت الرجل يضحك عالياً، والتفت ونظر وراءه مبتسماً. وعندما رأته زوجته يبتسم، ضربت سوطها لتلحق به، ثم سألته عن سبب تبسمه. فقال لها: «ما تظنين السبب؟ جاء في بالي شيء».

إلا أن الإجابة لم تقنعها، وبدأت تلح عليه أن يخبرها بسبب تبسمه. وكلما يقول لها أن تعرض عن هذا، كلما كانت تزداد إلحاحاً وتزعجه. وأخيراً قال لها إنه إذا أخبرها، فسيموت من فوره. لكن موت زوجها لم يخفها، واستمرت في إلحاحها: «لا سبيل لك إلا أن تخبرني».

Twitter: @ketab_n

وعندما وصلا البيت، نزلا عن خيليهما. وما إن وضعا أقدامهما على الأرض حتى أمر زوجها بحفر قبر له. فحفر القبر واضطجع فيه، وقال لزوجته: «ألم تضغطي عليَّ لإخبارك سبب تبسمي؟ تعالي الآن، سأخبرك، لكني سأموت في الحال». وبينما هو يقول ذلك، أجال نظره في ما حوله، فلمح الكلب العجوز وقد جاء من زريبة الماشية. وعندما رأى السيد هذا، اخبر زوجته أن تعطيه كرة خبز. فأعطته، لكن الكلب لم ينظر إليها، إنما راح يذرف الدمع ويبكي، أما الديك، وهو يرى ذلك، فقد ركض وأخذ ينقرها. فغضب الكلب، وقال للديك: «وكأنك تموت من الجوع! ألا ترى سيدنا سيموت؟»، فرد الديك: «يا له من مخبول! دعه يمت! ذنبُ منْ هذا؟ لدي مئة زوجة تقريباً. وعندما أجد حبة دخن، ادعوهن جميعا لي، وفي النهاية آكلها أنا. وعندما لا تفهم إحداهن ذلك، انقرها نقرة أو نقرتين، فتخفض ذيلها، لكن هذا الرجل غير كفء لضبط تصرف امرأة واحدة».

ولمّا سمع الرجل كلام الديك هذا، قفز من فوره خارج القبر، وأمسك بعصا، وهجم على زوجته فهربت وهو يركض وراءها حول التل والوادي، وفي النهاية أدّبها تماماً و لم تعد تركب رأسها وتلح عليه أن يخبرها بسبب تبسمه.

Twitter: @ketab_n

ملاحظات لاحقة

Twitter: @ketab_n

القبعة الحمراء الصغيرة

القبعة الحمراء الصغيرة، مثل الكثير من قصص التراث الشعبي، مزيج فريد من الأسطورة والأخلاق. ففي كتاب كوكس الموسوم «الميثولوجيا المقارنة»، المجلد الثاني، ص 831، نلاحظ أن «القبعة الحمراء الصغيرة»، أو «ذات الرداء الأحمر الصغير»، تؤوَّل بوصفها «المساء برداء شفقه الأحمر»، الذي يبتلعه ذئب الظلام، فنريس ايدا Fenris of the Edda[1]. ويبدو لي أن هذا التفسير ربما يناسب القبعة الحمراء أو القلنسوة، لكنه يتعارض مع الأحداث الأخرى في القصة. لذا أنحو إلى النظر إلى هذه القصة بوصفها أسطورة عن القمر، على الرغم من أن القمر يصطبغ بالحمرة فقط في جزء معين من السنة، أي قمر الحصاد في فصل الخريف. وتتمثل القبعة الحمراء وكأنها تتلوى، مثل ايو Io، الذي لا شك هو القمر، عبر الأشجار، والغيوم،

(1) في الميثولوجيا النرويجية القديمة، إن فينرير Fenrir (ساكن المستنقعات أو الأهوار، في النرويجية القديمة « fen» تعني «المقيم» أو «الساكن المقيم»)، أو Fenrisúlfr (ذئب المستنقعات، أو الأهوار)، ذهب عظيم الهيئة، وهو ابن لوكي Loki، أحد كبار الالهة في الميثولوجيا النرويجية، وانغربودا Angrboda العملاقة، التي تقترن بالحزن والألم (م).

Twitter: @ketab_n

والزهور، والنجوم، قبل أن تبلغ الموضع الذي يعترض سبيلها فيه الذئب. إذ لعل من الطبيعي أن يعني الخسوف بالنسبة للبسطاء أن وحشاً شريراً يسعى لالتهام القمر، الذي ينقذه كوكب الشمس بعد حين، رامي سهام السماوات، الذي يتمثل قوسه وسهمه ببندقية، وهذه مفارقة تاريخية شائعة. وعلى الرغم من أن القمر مذكر في السلافية، كما في الألمانية، إلا أنه سيدة، «سيدتي القمر»، كما في الأسطورة الكرواتية [53]، الآتي ذكرها[1]. وفي الميثولوجيا النرويجية القديمة، عندما يتيه لوكي Loki في آخر العالم، فإنه «يتسكع بشكل ذئب ليبتلع القمر» (كوكس، المجلد 2، ص 200). إلا إن الكلمة السلافية المذكرة الحالية التي تشير إلى القمر، التي هي نفسها التي تشير إلى الشهر، «mesic» أو « mesec»، هي صياغة ثانوية، بعدما ماتت الكلمة الأصلية. أما في الإغريقية واللاتينية فالقمر مؤنث دائماً.

(1) القمر مذكر في العربية، وهذا لا يؤثر في دلالة الحكاية، لذا ارتأينا التجنيس اللغوي العربي (م).

Twitter: @ketab_n

الأمير فجاءة

لربما تمكن مقارنة الحكاية السالفة بحكاية «ملك الماء، وفاسيليسا الحكيمة» (رالستن، ص 120). هذا فضلاً عن وجود حكايات كثيرة تمكن مقارنتها بها وأشار إليها السيد رالستن في الصفحتين 132 - 133 في مجموعته «حكايات من الأدب الشعبي الروسي». أما بصدد تأويل «الأمير فجاءة»، فمن المغري للغاية الوقوف عند بنات كوستشي الاثنتي عشرة كتمثيل للشهور الاثني عشر. وبما أن السنة كانت تبدأ عند الأقدمين بالربيع، فلعل أصغر بنات كوستشي هي الشهر الذي يكون فيه التحول من الشتاء إلى الربيع. أما انقطاع مضيهما قدماً بنسيان الأمير فجاءة التام والعابر، فلربما يمكن تفسيره بالتوقف الوقتي للجو الدافئ وعودة نوع من الشتاء الثانوي، الذي عادة ما يحدث في بواكير الربيع. وقد يكون الأمير فجاءة نفسه تمثيلاً للشمس، التي يأسرها الشتاء وتفلت منه في آخر شهر من السنة. وفاسيليسا الحكيمة هي أكبر بنات ملك الماء؛ وعلى هذا الأساس فمن الممكن أن تمثل أول شهر من السنة الجديدة.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

ISBN 978-9948-01-515-4
9 789948 015154